



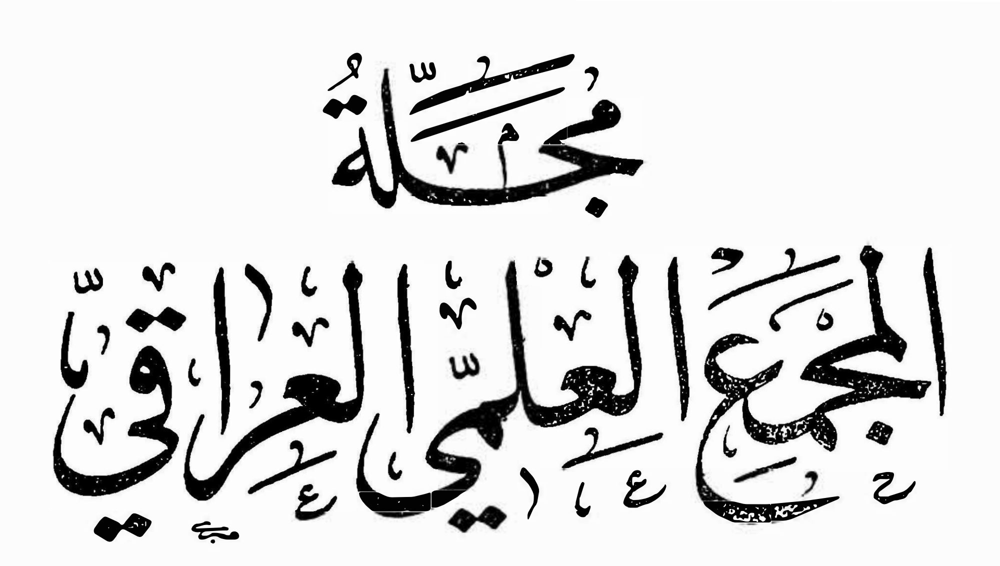


المجلد الثامن

(١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م



المجلد الثامن

(١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م

علم ابن النديم باليهودية والنصرانية

حوى كتاب « الفهرست » لابن النديم شيئاً من المعلومات عن اليهودية والنصرانية ، حصل عليها المؤلف من مراجعته بعض المصنفات التي وجدها في خزائن الكتب ، يهودية ونصرانية ، ومن بعض علماء اليهود والنصارى الذين التقى بهم وحادثهم وأخذ منهم ويفيدنا هذا الذي دونه عن الديانتين فائدة كبيرة في الوقوف على مبلغ علم علماء المسلمين في زمن ابن النديم من العلم باليهودية والنصرانية واحاطتهم بهما ، ومعرفة أشهر رجال الديانتين ممن وردت أسماؤهم في هذا الكتاب

وقد سطر ابن النديم علمه بالديانتين في الفصل الأول والفصل الثاني من كتابه ، أي الفهرست . فتحدث في الفصل الأول عن « الفن الأول من المقالة الأولى » ، و « وصف لغات الأمم من العرب والعجم » ثم « نعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها » ، وتكلم فيه على « القلم السرياني » و « القلم العبراني » ، و « القلم الرومي » و « قلم لنكبرده ولساكسة » وقلم الفرنجة والأرمن ، وتحدث في « الفن الثاني من المقالة الأولى» عن « أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذهب المسلمين ومذاهب أهلها » [1] وقد دون في هذا الفصل أسماء الموارد التي أخذ منها ، من مصنفات ورجال

وقد افتتح « ابن النديم » كلامه في « الفن الثاني من المقالة الأولى » ، بقوله : « قال محمد بن اسحاق : قرأت في كتاب وقع الي ، قديم النسخ ، يشبه أن يكون من خزانة المأمون ، ذكر ناقله فيه أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها ، وأكثر الحشوية

(١) الفهرست (ص ٣٢) « طبع المكتبة التجارية » بالقاهرة

والعوام يصدقون به ، ويعتقدونه فذكرت منه ما تعلق بكتابي هذا وهذه حكاية ما يحتاج اليه منه على لفظ الكتاب قال أحمد بن عبد الله بن سلام مولى أمير المؤمنين هارون ، أحسبه الرشيد ، ترجمت هذا الكتاب من كتاب الحنفاء ، وهم الصابئون الابراهيمية الذين آمنوا بابراهيم ... » ثم قال : « قال : أحمد بن عبدالله بن سلام : ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والأنجيل وكتب الانبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابية ، وهي لغة أهل كل كتاب ، الى اللغة العربية حرفاً حرفاً ، ولم أبتغ في ذلك تحسين لفظ ، ولا تزيينه ، مخافة التحريف ، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته ، ولم أنقص ، إلا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب ، فلا يستقيم لفظه في النقل الى العربية ، إلا أن يؤخر ، ومنه ما هو مؤخر لايستقيم إلا أن يقدم ، ليستقيم ذلك بالعربية وهو مثل قول من يقول :
ات مايم تان ترجمته بالعربيــة : ماء هات فأخرت « الماء » ، وقدمت « هات »
وكذلك اللغات فيما يستقيم اذا نقل الى العربية » (١)

وفي هذه العبارات المنقولة عن الأصل المترجم ، أي عبارات أحمد بن عبدالله بن سلام ، ملاحظات قيمة ثمينة في قواعد الترجمة والنقل من لغة الى لغة أخرى وهي تبين طريقة من طرق الترجمة التي اتبعها التراجمة والنقلة في العصر العباسي من الألسنة الأعجمية الى اللسان العربي فقد تقيد المترجم في نقله الكتب الدينية ، بالترجمة الحرفية ، لم يحسن فيها ، ولم يزين في جملها ، ولم يزد على ما وجده في الكلام أو ينقص منه ، إلا ما لايستقيم مع قواعد اللغة المنقول الكلام اليها ، فيقتضي عند ذاك التقيد بقواعد اللغة ، ليستقيم ذلك في اللغة المنقول اليها وقد تقيد في هذه الترجمة بصورة خاصة ، لأن الكتب المترجمة ، هي كتب مقدسة ولذلك يجب الحذر الشديد في نقلها من لغتها الأصلية الى لغة أخرى ، والمحافظة

(١) الفهرست (ص ٣٢ وما بعدها)

الشديدة على النص وعلى المعنى في الوقت نفسه

وانتقل ابن النديم بعد ذلك الى الكلام على التوراة التي في يد اليهود ، وأسماء كتبهم ، وأخبار علمائهم ومصنفيهم ، فقال : « سألت رجلاً من أفاضلهم عن ذلك ، فقال : أنزل الله ، جل اسمه ، على موسى التوراةَ ، وهي خمسة أخماس ، وينقسم كل خمس الى سفرين، وينقسم السفر الى عدة فراسات ، ومعناها السورة وتنقسم كل فراسة الى عدة أبسوقات ، ومعناها الآيات قال : ولموسى كتاب يقال له : المشنا ، ومنه يستخرج اليهود علم الفقه والشرائع والأحكام ، وهو كتاب كبير ، ولغتـه كسداني وعبراني ومن كتب الانبياء بعد ذلك ، كتاب يهوسع ، كتاب سفطى ، كتاب شمويل ، كتاب سفر اشعيا ، كتاب سفر أرميا ، كتاب سفر حزقيل ، كتاب ملخي ، وهو سفر داوود وأصحابه ، ويعرف بتفسير ملخى الملوك ، كتاب الانبياء ، وهو اثنا عشـر سفراً صغاراً ، ولهم كتب يقال لها بطارلت مستخرجة من كتب الانبياء الثمينة . ومن كتبهم كتاب عزور ، كتاب دانيال ، كتاب أيوب ، كتاب سير سيرين ، كتاب أخا ، كتاب روث ، كتاب قوهلت ، كتاب زبور داوود ، كتاب أمثال سليمان ، كتاب ديوان الايام فيه سير الملوك وأخبارهم ، كتاب حشوارش ، ويسمى المجلة » (١)

وما أوردته هنا هو كل ما رواه ابن النديم عن اليهودية في هذا الكتاب ، الا ما أورده في الفصل الأول عن القلم العبراني وهو كلام مقتضب ، خلاصته : أن الكتابة العبرانية في أيامه ، هي غير الكتابة العبرانية الأولى ، حدثه بذلك كما يقول « رجل من أفاضل اليهود » ، و « أن العبراني مشتق من السـرياني » وقد ذكر ذلك « تيادورس » « وإنما لقب بذلك حيث عبر ابراهيم الفرات يريد الشام هارباً من نمرود بن كوس بن كنعان » وقد ذكر « أن أول من كتب بالعبرانية عابر بن شالخ ، وضع ذلك بين قومه ،

(١) الفهرست (ص ٣٤)

فكتبوا به » [1]

وقصد بلفظة « التوراة » ، الأسفار المعروفة بـ « كتب موسى » وبـ « توراة الله » « Torah Elohim » عند اليهود Torah yahwe وبـ « توراة يهوه » وهي لفظة عبرانية ، معناها « الشريعة » والتعليم والوصية [2] وقد ذهب بعض علماء اللغة العرب الى أن لفظة التوراة لفظة عربية ، ورأى بعض آخر أنها عبرانية معربة [3] وقد صارت عند بعض المسلمين مرادفة لمصطلح « العهد القديم » المستعمل عند النصارى في مقابل العهد الجديد ، أي كتب موسى والكتب الأخرى المجموعة بين دفتي هذا العهد ويشمل العهد القديم الكتب التسعة والثلاثين أما العهد الجديد ، المعروف بالانجيل عند المسلمين ، فيقع في سبعة وعشرين قسماً ، تتناول الاناجيل الاربعة وأعمال الرسل والرسائل [4]

ولكن محدث ابن النديم ، كان صريحاً واضحاً في تخصيصه لفظة التوراة بالكتب الخمسة الأولى من العهد القديم أما ابن النديم ، فانه حاكٍ قاصٌ لرأي محدثه اليهودي وأما علماء المسلمين من المفسرين والمحدثين وعلماء اللغة ، فقد خصصوا اللفظة بهذه الكتب ، وعرفوها بانها الكتب التي نزلت على موسى [5] وقد عرف بعضهم هذه الكتب عرفوها باتصالهم ببعض علماء « أهل الكتاب » ، أي اليهود والنصارى ، ومن رجوعهم الى ترجماتها وأخذهم منها ، إذ نجد في المؤلفات العربية مقتبسات كثيرة ، منقولة من

---

(١) الفهرست (ص ٢٢)

(٢) Hastings, Dictionary of the Bible, P. 532,

(٣) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني (ص ٧٤) ، شرح القاموس (١/٣٨٩) ، مرمرجي ، المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنة السامية ، (ص ٧٢ وما بعدها) ، دائرة المعارف ، البستاني (٦/٢٦٤)

(٤) قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٢)

(٥) « وهي التوراة التي أنزلت على موسى » ، « وأنزل التوراة على موسى » ، تفسير الطبري (٣/١١١ ، ١٨٩) ، « وهي الكتاب الذي أنزل على موسى » ، صبح الأعشى (١٣/٢٥٢)

التوراة بصورة خاصة ، ومن بقية أقسام العهد القديم

وقد اعتمد المسعودي في مؤلفاته على التوراة وكتب اليهود الأخرى في أثناء كلامه على تواريخ الأنبياء فلما تحدث عن نوح مثلاً ، قال : « ووجدت في التوراة أن نوحاً عاش بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة ، فجميع عمر نوح تسع مئة سنة وخمسون سنة »[1] وهذه العبارة ، ترجمة حرفية لما جاء في آخر الاصحاح التاسع من سفر التكوين ، وهي: « وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة ، فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة ، ومات »[2] وتحدث عن التوراة بقوله : « وأنزل الله ، عز وجل ، على موسى عشر صحف ، فاستتم مئة صحيفة . ثم أنزل الله عليه التوراة بالعبرانية ، وفيها الأمر والنهي والتحريم والتحليل والسنن والأحكام ، وذلك في خمسة أسفار . والسفر يريدون به الصحيفة »[3] ويريد المسعودي بالصحيفة ، هنا السفر في الترجمة الحديثة ويتألف كل سفر من أقسام ، يقال لكل قسم « إصحاح » في الترجمات العربية الحديثة

وأما قول ابن النديم ، نقلاً عن محدثه اليهودي : « وهي خمسة أخماس ، وينقسم كل خمس الى سفرين» ، فيريد به جملة «خميشة خمشه هتوراه Hamishah humshé hattorah » العبرانية ، التي تعني « خمسة أخماس الشريعة » ، ويعنون بها « التوراة » ، ويطلقون عليها «مقرا Miqrä » أيضاً بمعنى القراءة[4] ، وتقابل لفظة «بنتاتويخس» «Hexateuch» و «Pentateuchus» اليونانية ، ويراد بها الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم ، أي ما يقول له العبرانيون « خمسة أخماس الشريعة » المذكورة[5] ويظهر أن الرجل العبراني

---

(١) مروج الذهب (١/٣١) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،

(٢) الترجمة البروتستانية (الآية ٢٨ وما بعدها)

(٣) مروج (١/٣٩)

(٤) المعجمية العربية (٧٣)

(٥) Hastings, P. 346.

قد عرب له الجملة العبرانية ، إلا أن ابن النديم نسي لفظة الشريعة ، أو أن الرجل لم يذكرها له مكتفياً بتفسيره للتوراة بأنها خمسة أخماس أي خمسة كتب ، كل كتاب هو خمس التوراة وأما اللفظة اليونانية « بنتاتويخس » ، فانها مركبة من « Penta » ومعناها خمسة و « Teuchus » ، وتعني الغلاف أي الكيس الذي يوضع فيه الكتاب وقد أرادوا بها تلك الكتب الخمسة المذكورة ، ولم يقصدوا بها هذه الكتب ، مضافاً اليها الكتب المقدسة الأخرى ، أي العهد القديم [١]

ويقال لكل كتاب من كتب العهد القديم سفر ، ويجمع على أسفار واللفظة عبرانية من أصل « سيفر Sefr » ، بمعنى كتاب ، أي جزء كامل من التوراة ، وهي تقابل لفظة كتاب التي استعملها ابن النديم ومن العبرانية ، اخذت السريانية لفظة « سيفروSefro » ، وهي فيها أيضاً بمعنى سفر وكتاب وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم بصيغة الجمع ، أسفار [٢] وذكرت في كتب اللغة بالمعنى المعروف من اللفظة عند السريانيين [٣] وتعني لفظة « سَفَر Sfar » في السريانية دَرَسَ وكتب وتفقه وتعلم وقد عرف علماء اللغة السفر بالكتاب الكبير ، أو الجزء من أجزاء التوراة ، و « سَفَر الكتاب » كتبه والكرام السفرة هم الكتبة وذكر بعضهم : أن الأسفار هي الكتب بالسريانية ، وقال آخرون : هي الكتب بالنبطية و « سُفرو Sofro » بمعنى كاتب مسجل ، فقيه ، أستاذ ، رئيس ويجمع فيها على « سوفرا Sofre » [٤]

---

(١) للصدر نفسه .346 ff

(٢) الجمعة . الآية ٥

(٣) معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) ، الاتقان (ص ١٢٨ ، ١٣٩) ، الأساس (١/٤٤٢) ، « والسفر بالكسر الكتاب الذي يفسر عن الحقائق ، وقيل الكتاب الكبير لأنه يبين الشيء ويوضحه و ... أو السفر جزء من أجزاء التوراة والجمع أسفار » . شرح القاموس (٣/٢٧١)

(٤) الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، دمشق ١٩٤٨ — ١٩٥١ ، (ص ٨٤ وما بعدها)

وينقسم كل كتاب ، أي سفر ، الى إصحاح وقد قسم العبرانيون الكتب الى إصحاحات ، للتسهيل على القرّاء ويطلق على الاصحاح عندهم « براشا Parashaho » [1] ومن هذه اللفظة جاءت كلمة « فراسات » التي ذكرها ابن النديم عنهم بمعنى السورة. وقد أدخل عليها ابن النديم أو محدثه بعض التعديل ، فصارت على هذا النحو .أما لفظة إصحاح ، المستعملة في الترجمات العربية الحديثة ، فانها لفظة معربة عن السريانية ، وهي فيها . بمعنى فصل من كتاب ، ولم ترد إلا في الأسفار المقدسه [2]

وأما قوله : « وتنقسم كل فراسة الى أبسوقات ، ومعناها الآيات » ، فان الأبسوقات عبرانية ، واحدها « باسوق » ، وقد فسرها بالآيات جمع آية

و « المشنة » « المشنا » ، Mishna ، وتعني « التكرار » ، هي مجموع تقاليد اليهود المختلفة مع بعض الآيات من التوراة ومن الكتب المقدسة الأخرى ، لشرحها وفسرها . جمعها أحبار وربّانيون عاشوا من بعد موسى ، واستمر عملهم الى القرن الثاني بعد الميلاد ، وانتهت كتابتها الى الحاخام « يهودا هاناسى Yehudah ha-Nasi » المتوفى حوالي سنة (٢٢٠) للميلاد

وتقسم « المشنا » ستة أقسام ، تعرف بـ « سداريم Sedarim » وهي لفظة آرامية تعني « الأوامر Orders » ويتألف كل قسم « سدر Sedar » من جملة موضوعات وأبحاث مقسمة الى فصول ، ويتكون كل فصل من فقرات ، ويعرف كل « سدر » بعنوان مأخوذ من الموضوعات التي يعالجها وهذه العناوين الستة ، هي : « زرعيم Zera'im » أي الزراعة والبذور « Seeds » ، ويشتمل على أحد عشر بحثاً ، و « موعيد» أي الأعياد ، ويشتمل على اثنتي عشر بحثاً ، و« ناشيم ، نشيم Nashim » ، ومعناها النساء « المرأة » ،

(١) Hastings, P. 96.

(٢) برصوم (ص ٢٠) .

ويشتمل على سبعة بحوث ، و « نزيكين Nezikin » ومعنــاه « الجروح » ، ويشتمل على عشرة فصول ، ويعرف كذلك بـ « يشأ أوث Yeshu'oth » ، و « قوداشيم Qodashim » ومعناه « المقدساب » و « الأشياء المقدسة » والأمور المقدســة ويشتمل على أحد عشر قسماً ، و « توهــاروت Toharoth » ومعناها المطهّرات ، ويشتمل على اثني عشر بحثاً [1] عن الطهارة والنجاسة وما يتعلق بهما

ويرى اليهود أن « المشنا » ، أنزل في الأصل على موسى ، وقد حفظ عنه هارون واليعازر ويهوذا ، ثم الأنبياء من بعدهم ، ثم أعضاء المجمع المقدس الأعلى ، ثم من جاء بعدهم ، وهكذا الى أيام الحاخام « يهوذا هاناسي » ، المذكور الذي قام بتدوينــه وجمعه ، فنسب اليه . فالمشنا عند اليهود هو حديث موسى ، حفظ وروي عنه الى بعد الميلاد ، حيث جمعه ذلك الحاخام وهو عندهم بمنزلة حديث الرســول عند المســلمين ولهذا عدّه محدث ابن النديم كتاب موسى ، ونسب اليه ، وهو مرجع اليهود في الأحكام [2]

والمشنا ، كتاب ضخم يتألف من مجلدات كبيرة . وأما لغتها ، فهي العبرانية الحديثــة في اصطلاح علماء التوراة ، أي العبرانية المتأثرة بالإرمية ولهذا قال محدث ابن النديم لغة الكتاب كسداني وعبراني [3] وقد أطلق العرب لفظة الكسداني على النبطية في بعض الأحيان ، وعلى الكلدانيــة أي لغة البابليين [4] أحياناً أخرى ، ويقصــدون بها الارمية أحياناً أخرى . واللفظة عبرانية الأصل أخــذت من « Kasdim » المرادفــة للكلدانيين في التوراة [5] . ولما كان قسم من المشنا قد كتب في بابل ، وكانت الارمية هي لغــة العلم في

(١) المصدر نفسه ص ٨٩ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٩١)

(٣) الفهرست (ص ٤٣٣)

(٤) « ومعنى كسداني : نبطي ، وهم سكان الأرض الأولى » ، الفهرست (ص ٤٣٣)

(٥) Hastings, P, 120.

ذلك الحين ، كتبت بعض فصول المشنا بهذه اللغة ، كما تأثر العبرانيون بهنا لهذا العهد ، واستعملوها في تآليفهم بدلاً عن العبرانية القديمة

وذكر ابن النديم بعد المشنا كتباً ذكر أنها من كتب الأنبياء ، منها : كتاب يهوسع ، وكتاب سفطي ، وكتاب شمويل ، وكتاب سفر أشعيا ، وكتاب سفر أرميا ، وكتاب سفر حزقيل ، وكتاب ملحي وهو سفر داوود وأصحابه ويعرف بتفسير ملخي الملوك ، كتاب الأنبياء وهو اثنا عشر سفراً صغاراً ثم قال بعد ذلك : « ولهم كتب يقال لها بطارات ، مستخرجة من كتب الأنبياء الثمينة ومن كتبهم : كتاب عزور ، وكتاب دانيال ، وكتاب أيوب ، وكتاب سير سيرين ، كتاب أخا ، كتاب روث ، كتاب قوهلت ، كتاب زبور داود ، كتاب أمثال سليمان ، كتاب ديوان الأيام فيه سير الملوك وأخبارهم ، كتاب حشوارش ويسمى المجلة » [(١)]

أما كتاب « يهوسع » ، فقد أراد به محدث ابن النديم سفر « يشوع » ، المعروف بـ « يشوعا Joshua » الذي يلي التوراة في الترتيب وهو في مقدمة الكتب المسماة عند العبرانيين بكتب الأنبياء وهو يبحث في افتتاح الأرض المقدسة ، أرض فلسطين ، وفي تقسيمها وفي خطابي يشوع وموته ودفنه [(٢)] وقد دعي هذا السفر بسفر يشوع ، نسبة الى « يشوع بن نون » Joshua bin Nun ، ودعي بـ « هوشع Hoshea » و « يهوشوع » في التثنية وفي العدد [(٣)] وهو من سبط افرايم ، وقد ولد في مصر وكان خادماً لموسى ، ثم صار خليفة له وهو الذي عبر الأردن ، وقاد جماعة إسرائيل الى فلسطين

---

(١) الفهرست (ص ٣٤)

(٢) قاموس الكتاب المقدس (٢/١١٠٥) ، Hasting, PP. 498

(٣) Dt. 32, 44, Zun 13,8.

وقد ورد في سفر يشوع عن وقوف الشمس والقمر له [1] ويراد به يوشع بن نون، الذي يرد خبره في كتب التفاسير وقصص الأنبياء وكتب التواريخ والأخبار [2] والظاهر أن محدث ابن النديم، أو ابن النديم نفسه، لم يعرف أن المراد به يوشع عند المسلمين، فكتبه على النحو المذكور

وأما «كتاب سفطى»، فهو «القضاة» «Judges»، وهو يلي سفر «يشوع» في الترتيب ويظهر أن المعربين للتوراة كانوا قد استعملوا اللفظة العبرانية، وهي: «شوفيتيم Shophetim» التي كانت تعني القضاة في العبرانية يومئذ، ولم يستعملوا مرادفها في العربية، ولهذا ذكر محدث ابن النديم اللفظة العبرانيـة، أو إن محدثه لم يكن يعرف معناها في العربية، فذكرها له بالعبرانية، أو أنه لم يشأ — لسبب ديني يراه — تغيير الأصل، فذكرها لابن النديم بأصلها العبراني، وقد ضبطها ابن النديم بالصورة المذكورة. ولعلّ النساخ حرفوا الأصل، لجهلم به، حتى صار «سفطى» وقد كان الأصل «شوفيط» أو «شفطى» أو «شوفيطيم»، فصار «سفطى»

وكان على محدث ابن النديم ذكر سفر «راعوث» وهو «روث Ruth» بعد سفر «سفطى»، أي القضاة، لأنه يليه في الترتيب، لكنه أهمله، وذكر اسم سفر «شموئيل» بعده مباشرة وهو «صموئيل» في التراجم العربية الحديثة، تقليداً للتراجم الانكليزية واللاتينية وهذا السفر قسمان: صموئيل الأول، وصموئيل الثاني وقد كان على محدث ابن النـديم ذكر «الملوك» بعد «شموئيل»، لكنه لم يفعل ذلك، وانتقل الى سفر «اشعيا»، ثم سفر أرميا، ثم سفر حزقيل، وهكذا وهي أسفار تأتي بعد الملوك بعشرة

(١) يشوع (١٠/ الآية ١٢ وما بعدها)

(٢) الطبري (١/ ٤١٤ ومواضع أخرى)، قصص الأنبياء (ص ١٥٥ وما بعدها)، Ency. of Islam, Vol. IV, 1177.

أسفار في الترتيب أما سفر « حزقيل » . فانه لا يلي سفر « أرميا » مباشرة، بل يأتي بعد « سفر مراثي أرميا » الذي يلي سفر « أرميا » ويعرف سفر « حزقيل » بـ « حزقيال » « Ezekiel » في الترجمات العربيـــة الحديثة أما « ســـفر مراثي أرميا » ، فيعرف بـ « Lamentations » في الانكليزية ، ولم يذكره ابن النديم

أما قوله « كتاب ملخى، وهو سفر داوود واصحابه، ويعرف بتفسير ملخى الملوك » ،[1] ففيه اضطراب ولبس وقـد أسـتعمل محدث ابن النديم اللفظة العبرانية « مليخ » أي « ملك » ، فقال : « كتاب ملخي » ، وعنى بذلك ما يقال له « سفر الملوك » في الترجمة العربية الحديثة ويبتدأ هذا السفر بشيخوخة داوود ووعـــد الله لداوود وشر التحزب والانقسام ، وينتهي سفر الملوك الثاني بسبي بابل وحريق الهيكل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، ثم اطلاق يهوياكين وموته واحراق الهيكل[2] ، ولذلك فعبارته : « وهو سـفر داوود واصحابه » ، هي شرح وتفسير لما في « كتاب ملخي » ، أي سفر الملوك . وقد عاد ففسر قوله مكرراً في جملة « ويعرف بتفسير ملخي الملوك » وكلمة تفسير ، هي خطأ قد يكون مطبعياً ، وقد يكون في أصل كتاب ابن النديم ، والصحيح « سفر » ويجب كتابة العبارة بهذه الصورة : « ويعرف بسفر ملخي الملوك » ، وتكون لفظة الملوك تعريب الملخي كما ذكرت

أما كتاب عزور ، فيقصد به « سفر عزرا » ، ويقع بعد « أخبار الايام الثاني » في الترتيب وقد طفر محدث ابن النديم من هذا السفر الى سفر « دانيال » ، فدعاه كتاب دانيال ، ثم رجع عدة خطوات الى الوراء حتى بلغ « كتاب أيوب » المعروف بسفر أيوب في الترجمات العربية الحديثة

---

(١) الفهرست (ص ٢٤)

(٢) قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٧٥)

أما « كتاب زبور داود » ، فيقصد به ما يسمى بـ « المزامير » و بـ « Psalms » في الترجمة الانكليزية . ولفظة « مزامير » ، هي من أصل عبراني هو « مِزْمور Mismor » ويقابله « مزمور Mazmōr » في السريانية ولقد وردت في القرآن الكريم لفظة « الزبور » ، كما وردت فيه « الزُبُر » كذلك وورد في شعر لأمرىء القيس : « كخط زبور في مصاحف رهبان » [1] والظاهر أن اللفظة من أصل عربي جنوبي ، ومعناها « الكتاب » [2]

وقد صرح ابن النديم في مقدمته عن كتب اليهود ، وقبل أسطر من كلامه على التوراة التي في أيدى اليهود ، نقلا من كتاب لأحمد بن عبد الله بن سلام : أن المزامير هي الزبور ، وقد نزلت على داود ، وهي المعروفة التي في أيدي اليهود والنصارى وعددها مئة وخمسون مزموراً [3] والمزامير هي كذلك بهذا العدد ، لا اختلاف فيه في كل الترجمات .

وقد وقف المسعودي على المزامير كذلك ، فقال : « وأنزل الله ، عزّ وجل ، عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومئة سورة ، وجعله ثلاثة أثلاث : فثلث ما يكون مع بخت نصر وما يكون من أمره في المستقبل ، وثلث ما يلقون من أهل أنوار ، وثلث موعظة وترغيب ومحبة وترهيب ، ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم » [4] . ويظهر أن أحد اليهود تحدث الى المسعودي عن مضمون هذه المزامير ، من حيث المحتوى والمادة ، فصنفها الى هذه الأقسام الثلاثة ففي القسم الأول تهديد وانذار لليهود ، بوجوب اطاعة أوامر إله اسرائيل ، ففسره اليهودي له ، أنه في موضوع « بخت نصر » وما يكون من أمره في المستقبل فأيام بخت نصر بعيدة بالطبع عن أيام داوود وفي القسم الثاني تهليل

(١) راجع ديوان امرىء القيس

(٢) Ency. of Islam, Vol., IV. P. 1184.

(٣) الفهرست (ص ٣٢)

(٤) مروج الذهب (١/٥٠)

وتمجيد باسم الله ، فدعاه « ثلث ما يلقون من أهل أنوار » ، وأما القسم الثالث ، فهو في الترانيم والمدائح وتمجيد اسم الله أيضاً وأما ما أورده من ملاحظات عن المزامير ، فهي صحيحة ، وقد أخذها من محدث يهودي فيما أظن

وقد عرف بعض العلماء الزبور بأنه « اسم الكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الأحكام الشرعية ، والكتابُ لما يتضمن الأحكام والحكم ويدل ذلك على أن زبور داوود عليه السلام ، لا يتضمن شيئاً عن الأحكام »[1] وقد أخذ هؤلاء العلماء هذا التفريق الذي نراه بين معنى « الزبور » و « الكتاب » من المعنى المفهوم عند اليهود ولا شك

وقد فسر بعض علماء اللغة « المزامير » بأنها ما يتغنى به من الزبور ، وبما كان اليه المنتهى في حسن الصوت بالقراءة وعرفها بعض آخر بأنها ضروب الدعاء ، جمع مزمار ومزمور وورد في الحديث : « لقد اعطيت مزماراً من مزامير آل داوود » شبه حسن صونه وحلاوة نغمته بصوت المزمار[2] : ويظهر أن الجاهليين كانوا قد وقفوا على أحوال أهل الكتاب في ترتيلهم المزامير في معابدهم بصوت حسن ونغم حلو عذب ، فتوسعوا في المعنى على هذا النحو

وقصد بـ « كتاب أمثال سليمان » ما يقال له « الأمثال » في الترجمة العربية الحديثة ، و « Proverbs » في الانكليزية أما « كتاب ديوان الأيام فيه سير الملوك وأخبارهم » ، فقد قصد به ما يقال له « أخبار الأيام » في الترجمة العربية الحديثة ، و « Chronicles » في الانكليزية وجملة : « فيه سير الملوك وأخبارهم » هي شرح لمضمون الأسفار .

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ٢١) ، « وقد غلب الزبور على كتاب داوود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ... قال أبو هريرة : الزبور ، ما أنزل على داوود ... وفي البصائر المصنف : وسمي كتاب داوود زبوراً لأنه نزل من السماء مسطوراً » ، شرح القاموس (٣/٢٣١) .

(٢) شرح القاموس (٣/٢٤٠)

وأما قوله : « كتاب حشوارش ، ويسمى المجلة » ، فانه خطأ إذْ ليس في العهد القديم سفر يسمى « سفر حشوارش » ، أو سفر المجلة بل نجد في العبرانية لفظة « Megilloth » ويراد بها اللفة والكراس وملف المخطوطات والكتاب وقد أطلقت عندهم على الأسفار الخمسة « Canticles » و « روث Ruth » « راعوت » والجامعة « Ecclesiastes » ومراثي أرميا « Lamentations » وأستير « Esther »[1] وترادف هذه اللفظة ، أعني لفظة مجلة ، لفظة « Megilloth » التي تطلق على الكتب الخمسة المذكورة ، وتقابل كلمة « Magaltho » في السريانية [2]

وقد ذُكرت في كتب الأخباريين « مجلة لقمان » ، كما ذكرت « المجلة » في قول النابغة الذبياني :

مجلتهم ذات الإله ، ودينهم قويمٌ ، فما يرجون غير العواقب

وذكر بعض علماء اللغة أن المجلة هي الصحيفةُ يكتب فيها شيء من الحكمة [3] وقيل كل كتاب أو كراسة [4] .

وقصد بـ « كتاب سير سيرين » السفر المعروف بسفر نشيد الانشاد في الترجمة العربية الحديثة للعهد القديم ، ويسمى بـ « Songs of Salamon » في الانكليزية وهو أحد الأسفار الداخلة في قسم « الكتب Hagiographe Kethubim » ويعرف أيضاً

(١) Hastings, P. 112.

(٢) برصوم (ص ١٦٣)

(٣) الاشتقاق (ص ١٩٢) « ويروي محلتهم بالحاء (المهملة) ، أي أنهم يحجون فيحلون مواضع مقدسة » ، شرح القاموس (٢٦١/٧) ، برصوم (ص ١٦٣)

(٤) « قال أبو عبيد : كل كتاب عند العرب مجلة وقدم سويد بن الصامت ، رضي الله تعالى عنه ، فتصدى له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فدعاه فقال له سويد : لعل الذي معك مثل الذي معي قال : وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان ... وكان ابن عباس ، رضي الله تعالى عنهما ، اذا أنشد شعر أمية ، قال : مجلة ابن أبي الصلت » ، شرح القاموس (٢٦١/٧)

بـ « Canticles » ، وهو اختصار « Canticum Canticorum » وقـد أخذ محدث ابن النديم تسميته المتقدمة من التسمية العبرانية ، « شيرث شيريم Shirath Shirim » [1]

وأما « كتاب قوهلت » ، فانه سفر « الجامعة » في الترجمة العربية الحديثة للعهـد القديم ، وهو يقابل « كوهيليت Koheleth » في العبرانية وهو من مجموعة الأسفار التي تـكون أحد أقســام العهد القديم الثلاثة ، بحسب تقسيم العبرانيين ، ويقال له : « الكتب Kethubbim » [2] وقد أطلق محدث ابن النديم على هذا السفر العنوان العبرانى المعروف به عند اليهود

وأما « كتاب أخا » ، فأظن أنه قصـد به سفر « حجى » في الترجمة العربية الحديثة ، و « Haggai » في الترجمة الانكليزية وقـد سمي السفر بهذا الاسـم نسبة الى نبي عرف به[3]، أو « كتاب ميخا » في الترجمة العربية الحديثة ، و « Micah » في الترجمة الانكليزية . و « ميخا » اسم أحد الأنبياء الأربعة الذين عاشوا في القرن الثامن قبل الميلاد ، ويعده العبرانيون في جملة الأنبياء الصغار[4]

وقد أخذ ابن النديم علمه بالنصرانية من « يونس القس » ، وقد مدحه وأثنى عليه وقد حدثه أن النصارى يعتمدون على « الصورة » ، وأن الصورة قسمان : الصورة العتيقة، والصورة الحديثة ؛ وأن الصورة العتيقة هي السند القديم على مذهب اليهود ، والحديثـة على مذهب النصارى « والعتيقة تستند الى عدة كتب أولها كتاب التوراة ، وهي خمسة أسفار : كتاب محتوى ، ويحتوي على عدة كتب ، منها : كتاب يوسع بن نون ، كتاب الأسباط وهو كتاب القضاة ، كتاب شماويل ، وقضية داوود ، كتاب أخبار بني اسرائيل،

(١) Hastings, P. 870.

(٢) المصدر نفسه (ص ٢٠١)

(٣) المصدر نفسه (ص ٣٢٤)

(٤) المصدر نفسه (٦١٤)

قضية رعوث ، كتاب سليمان بن داوود في الحكم ، كتاب قوهلت ، كتاب سير سيرين ، كتاب حكمة هويسع بن سيرى ، كتاب الأنبياء ، ويحتوي على أربعة كتب ، كتاب أشعياء النبي عليه السلام ، كتاب أرميا النبي عليه السلام ، كتاب الاثني عشر نبياً عليهم السلام ، كتاب حزقيل » [١]

وقد قصد ابن النديم بالصورة ما يقابل لفظة « Testament » في الانكليزية ، وهي ترجمة لكلمة « Diathekè » اليونانية التي هي رجمة أيضاً للفظة « Berith » العبرانية ، ومعناها « العهد Covenant » [٢]

وقوله : « وينقسم الى قسمين : الصورة العتيقة والصورة الحديثة » هو تقسيم نصراني ، حدث بعد النصرانية بالطبع أما اليهود ، فانهم لا يعترفون بكتب النصارى ، ولا يصدقون بالأناجيل وبكل ما هو وارد في العهد الجديد ، ولذلك لا يعترفون بالصورة الحديثة

وقد وقف المسعودي على مصطلح « الصورة » فقال : « والأربعة والعشرين كتاباً التي تجتمع اليهود والنصارى عليها وتسميها اليهود الكتب الجامعة ، والنصارى كتب الصورة والصورة القديمة اثنا عشر ، منها صغار ، واثنا عشر كبار وتسمى أيضاً كتب الأنبياء منها التوراة خمسة أسفار ، وليس تقرأ النصارى في الكنائس من التوراة إلا السفر الأول وهو الخليقة » [٣]

ويقسم اليهود الكتاب المقدس ، أي العهد القديم في اصطلاح النصارى ، الى ثلاثة أقسام ، هي : الشريعة والناموس ، وتسمى « التورا Torah » في العبرانية ، أي التوراة

---

(١) الفهرست (ص ٣٤ وما بعدها)

(٢) Hastings, P. 111

(٣) التنبيه (ص ١٠٦)

كما ذكرت والأنبياء « Prophets » ، ويسمى بـ « نبيم Nebīīm » في العبرانية والقسم الثالث « الكتب » « كيتوبيم Kethūbīm » في العبرانية وبـ « Hagiographa » في اليونانية ومعناها الكتب المقدسة [١] أما القسم الأول ، أي التوراة ، فيشمل الأسفار الخمسة ، وهي : التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ، ويقال لها أسفار موسى ، ولها عندهم حرمة خاصة وقدسية كبيرة وهي الأسفار المقدسة الوحيدة عند السامريين [٢].

وأما الأنبياء ، وهو القسم الثاني ، فيشمل : أسفار يشوع والقضاة وصموئيل والملوك وأشعياء وأرميا وحزقيال ، وأسفار الأنبياء الصغار « Minor Prophets » ، وهي : هوشع ، ويوئيل، وعاموس ، وعوبديا ، ويونان، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ،وصفنيا ، وحجى ، وزكريا، وملاخى [٣]

وأما الكتب « Kethūbīm » ، أو الأسفار المقدسة في اصطلاح اليونان « Hagiographa » ، فتشمل المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الانشاد وراعوت والمراثى والجامعة وأستير ودانيال وعزرا ونحميا والأيام الأول والثاني أما النصارى ، فقد قسموها الى أسفار تاريخية وأسفار شعرية وأسفار نبوية [٤]

وقد ذكر ابن النديم بعد التوراة جملة : « كتاب محتوى ويحتوي على عدة كتب ، منها : كتاب يوسع بن نون ، كتاب الأسباط وهو كتاب القضلة ، كتاب شماويل وقضية داوود ، كتاب أخبار بني اسرائيل ، كتاب قضية رعوث ، كتاب سليمان بن داوود... الخ » [٥] ويدخل سفر يوسع بن نون ، وسفر القضاة ، وسفر شماويل ، وسفر قضية

(١) قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٤٥) ، Hastings, P. 95

(٢) Hastings, P. 95.

(٣) قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٤٥) ، Hastings, P. 112

(٤) المصدر نفسه

(٥) ص ٣٥

داوود في كتب الأنبياء أما الأسفار الأخرى ، فتدخل في القسم الثالث ، وهو الكتب كما ذكرت ولم يكمل محدث ابن النديم ، وهو « يونس القس » ، سلسلة كتب الأنبياء ، ولم يربط بينها ، كذلك لم يسر على وفق ترتيب الأسفار في العهد القديم ، بل خلط بينها وقدم وأخر قدم سفراً متأخراً ، وأخر متقدماً ، فاختلطت الأسفار من القسمين بعضها ببعض

أما سفر « يوسع بن نون » ، فقصد به سفر « يشوع » ، وهو « يشوع بن نون » خليفة موسى ومن سبط أفرايم كما ذكرت وهو السفر الذي ذكره ابن النديم في أثناء كلامه على كتب اليهود باسم كتاب يهوسع [1] ، كما أشرت اليه وأما « كتاب الأسباط ، وهو كتاب القضاة ، فقد ذكره ابن النديم قبلاً باسم « كتاب سفطى » [2] وقد بينت أصل هذه الكلمة العبراني وأما كتاب شماويل فانه سفر صموئيل ، وقد ذكره ابن النديم أيضاً ، وسماه كتاب شمويل ، وقصد صموئيل الأول وصموئيل الثاني وأما قوله : « وقضية داوود ، فأراد به سفر الملوك وقد ذكره في أثناء كلامه على الكتب المقدسة عند اليهود فقال عنه : « كتاب ملخى ، وهو سفر داوود وشرائعه ، ويعرف بتفسير ملخى » [3] . ويدخل في قسم كتب الأنبياء

وقد كان على « يونس القس » ، أو ابن النديم ، الحاق جملة : « كتاب الأنبياء ، ويحتوي على أربعة كتب : كتاب أشعياء النبي عليه السلام ، كتاب أرمياء النبي عليه السلام ، كتاب الاثني عشر نبيـاً عليهم السلام ، كتاب حزقيل » بالجملة المتقدمة الخاصة بكتب الأنبياء ، لا أن يذكرها هنا وبعد الكلام على قسم « الكتب » ثم كان عليه مراعاة التنظيم والترتيب بين الأسفار

وأما قوله « كتاب أخبار بني اسرائيل ، كتاب قضية رعوث ، كتاب سليمان بن

(١) ص ٣٤
(٢) المصدر نفسه
(٣) المصدر نفسه

داوود في الحكم ، كتاب قوهلت ، كتاب سير سيرين ، كتاب حكمة هويسع بن سيرى »[1]، فقد أراد به القسم الثالث ، أي « الكتب » وقد ترك بعض الأسفار ، فلم يذكرها ، وذكرها فيما تقدم في أثناء كلامي على تقسيم الكتاب المقدس عند اليهود وقد أراد بكتاب أخبار بني اسرائيل السفر المعروف بأخبار الأيام الأول والثاني ، وأراد برعوث السفر المعروف بـ « راعوث » ، وقصد بـ « كتاب سليمان بن داوود في الحكم » ، السفر المعروف بـ « الأمثال » « Proverbs » وهو في الحكم ، وأراد بـ « كتاب قوهلت » سفر الجامعة ، وهو يلي سفر الأمثال في الترتيب وأما « كتاب سير سيرين » ، فقصد به نشيد الإنشاد كما شرحت ذلك فيما سبق وهو يلي سفر الجامعة في الترتيب وأما « كتاب حكمة هويسع بن سيرى » ، فلا يعد من هذه الكتب ، وإنما هو من « الابوكريفا » « Apocrypha » ، أي من الكتب غير القانونية التي أضيفت الى العهد القديم وبعض الأسفار الملحقة بالعهد الجديد[2]

وعدد كتب « أبوكريفا العهد القديم » ، أربعة عشر كتاباً ، هي : أسدراس الأول ، وأسدراس الثاني ، وطوبيت ، ويهوديت ، وبقية اصحاحات سفر أستير غير الموجودة في العبرانية وفي الكلدانية ، وحكمة سليمان ، وحكمة يشوع بن سيراخ ، وباروخ ، ونشيد الثلاثة الفتية المقدسين ، وتتمة سفر دانيال، وتأريخ سوسنة ، وتأريخ انقلاب بيل والتنين، وصلاة منسي ملك يهوذا ، والمكابيين الأول والمكابيين الثاني

وكتب أكثر هذه الكتب باليونانية ، وللعلماء النصارى رأي فيها ، وقد أدخلت في بعض الترجمات للعهد القديم ، فطبع أكثرها إلا كتابا اسدارس وصلاة منسى بعد الكتاب المقدس ، لقيمها التأريخية ، وحذفت كلها من الترجمات البروتستانتية لعدم

(١) صفحة (٣٥)

(٢) قاموس الكتاب المقدس (١/ ٢٦)

اعتراف البروتستانت بها [1]

وكتاب «حكمة هويسع بن سيري»، هو كتاب «حكمة يشوع بن سيراخ» الذي ذكرته الآن في كتب «الابوكريفا» ويعرف بـ «The Wisdom of Jesus the son of Sirach» في الانكليزية، وبـ «Ecclesiasticus» كذلك وهو من الكتب المهمة في مجموعة كتب «الابوكريفا» وقد اقتبس هذا الكتاب من الأمثال والجامعة وأيوب كتبه يهودي، اسمه «يشوع بن سيراخ»، في القرن الثالث قبل الميلاد في العبرانية في الأصل، وقد فقد الأصل العبراني، واعتمد على النص اليوناني المترجم عن العبرانية حوالي سنة ١٣٢ قبل الميلاد وقد اكتشف نصف هذا الكتاب في مصر مدوناً بالعبرانية [2]

وقد يكون مراد ابن النديم أو محدثه يونس القس، بـ «كتاب سليمان بن داوود في الحكم»، السفر المعروف بـ «حكمة سليمان» في «الابوكريفا»، ويعرف بـ «Wisdom of Solomon» في الانكليزية وقد أخذ في الغالب من التوراة وقد نسب الى سليمان، غير أن صاحبه رجل يهودي من الاسكندرية، كتبه فيما بين سنة ١٥٠ وسنة ٥٠ قبل الميلاد كتبه باليونانية، ويتغلب عليه الطابع الأدبي [3]

وتشتمل «الصورة الحديثة» أي العهد الجديد في اصطلاحنا على الأناجيل الأربعة، وهي: كتاب انجيل متي، وكتاب انجيل مرقس، وكتاب انجيل لوقا، وكتاب انجيل يوحنا، وكتاب الحواريين وقد ذكره باسم «فراكسيس» كذلك، وكتاب بولس السليح ويشتمل على أربع وعشرين رسالة [4] أما الأناجيل الأربعة، فمعروفة، ولا تزال تسمى بالأسماء المذكورة وأما «كتاب الحواريين»، فقصد به ما يقال له «أعمال الرسل» في

(١) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٦)

(٢) Hastings, P. 43.

(٣) المصدر نفسه

(٤) الفهرست (ص ٣٥) .

الترجمة العربية الحديثة ، و بـ « Acts » في الترجمة الانكليزية وهو السفر الخامس من العهد الجديد ويعرف بالأعمال أو بأعمال من غير تعريف وهو في تأريخ الكنيسة من المسيح الى سجن بولس في روما وقد كتبه « لوقا » الانجيلي كاتب الانجيل الثالث ، ويرجح أنه كتبه في روما سنة ٦٣ بعد الميلاد [١]

وقصد بقوله « كتاب بولس السليح ، أربعة وعشرون رسالة » ، رسائل « بولس الرسول » ، التي تلي أعمال الرسل و « بولس » هو يهودي الأصل ، اسمه في العبرانية « شاؤل » أما « بولس » ، فهو اسمه بين الرومانيين ، ومعناه « صغير » وقد كتب ثلاث عشرة رسالة أو أربع عشرة رسالة على رأي من عدّ الرسالة الموجه بها الى العبرانيين ، من عمل « بولس » وهو أمر لا يرجحه أكثر علماء العهد الجديد [٢] وقد جعل يونس القس أو ابن النديم رسائل بولس أربعاً وعشرين رسالة وهو خطأ ، لعله من ابن النديم أو من النسّاخ ولعله كان قد كتب أربع عشرة ، على اعتبار أن رسالة الى العبرانيين هي من رسائله ، فصيرت أربعاً وعشرين

وقصد ابن النديم بلفظة « السليح » ، « الرسولَ » وقد أخذها من محدثه النصراني وهي لفظة سريانية هي « شلحو Shilho » ، من أصل « شلح Shlah » ، بمعنى : أرسل ، وبعث وجمعها « سَليحون » [٣] وقد وردت جملة « وكتاب السليح بولس » و « فلما توفي توما السليح » في كتاب «ليحيى بن عدي » [٤] . ووردت جمل مثل « بطرس السليح » و « سمعان السليح ورسائل السليح بولس » [٥] وغيرها .

(١) قاموس الكتاب المقدس (١/١١٥ وما بعدها)

(٢) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٦٠)

(٣) برصوم (ص ٨٩)

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه

واستعملت اللفظة بمعنى « رسائل » ، فورد « ويقرأ السليح والفرا كسيس » ، ويعني بذلك الرسائل وكتاب أعمال الرسل ، وورد « وقرأ السليح أسقف النعمانية » ، وورد اللفظة في كتب المسلمين فذكرها البيروني ، وفسرها بالحواري : « وهو شمعون الصفا رئيس السليحين ، وهم الحواريون » ، وقال : « ذكر أن توما السليح » وأشير في الكتب العربية الأخرى الى « صوم السليحين » [1]

ويلاحظ أن ابن النديم قد أهمل الأسفار الأخرى التي تلي رسائل بولس ، وهي : رسالة يعقوب ، ورسالتا بطرس، ورسائل يوحنا الثلاث، ورسالة يهوذا ، ورؤيا يوحنااللاهوتي ، فلم يذكرها ، مع أنها مدونة في الأناجيل [2]

وقد ذكر ابن النديم أسماء بعض علماء النصارى ، ممن عرفوا بالعلم والفقه ، هم : « ابن بهريز » واسمه « عبد يسوع » وكان مطراناً على حرّان ، ثم صار مطراناً على الموصل وكان حكيماً ، درس المنطق والفلسفة ، وكان في حكمته قريباً من حكماء الاسلام كما يقول ابن النديم [3] ومنهم : « قينون » وكان ناقلاً حسن العبارة واللفظ ، وثيادورس ، ويوشع بخت ، وحزقيل ، وطماثوس ، ويوسع بن بد وكل هؤلاء من النقلة والمفسرين كما ذكر اسم « تاوما الرهاوي » وله رسالة الى أخته فيما جرى بينه وبين المخالفين بالاسكندرية ، و « اليا » مطران دمشق وله كتاب الدعاء ، وأبو عزه وكان أسقف الملكية بحرّان وله كتاب « يطعن فيه على أسطورس الرئيس وقد نقضه عليه جماعة » [4]

ويظهر من عبارة « قال أحمد بن عبد الله بن سلام : ترجمت صدر هذا الكتاب

---

(١) المصدر نفسه (ص ٩٠)

(٢) راجع مختلف الطبعات

(٤) الفهرست (ص ٣٥ وما بعدها) ، عيون الأنباء (١/٢٠٥) ،

Noldeke, Geschichte der Perser und Araber, S. 223. anm. 2.

(٤) الفهرست (ص ٣٥ وما بعدها)

والصحف والتوراة والانجيل والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابئة » التي نقلها ابن النديم من كتاب أحمد هذا ، الذي رأى نسخته ، أن هذا الكتاب كان قد شمل كتب اليهود والنصارى والصابئة ، ونقولاً عن بعض من أسلم من أهل الكتاب مثل : عبد الله ابن سلام ، ويامين بن يامين ، ووهب بن منبه ، وكعب الأحبار ، وابن التيهان ، وبحيرا الراهب ، مضافاً اليها بعض ما يعرفه عن هذه الديانات وأظن أنه قصد بالصابئة لغة بني ارم ، أي الارمية ، بدليل ذكر العبرانية واليونانية والإرمية هي لغة الكنيسة الشرقية كما هو معلوم

وإذا كان نقل أحمد هذا نقلاً حرفياً صحيحاً ليس فيه اقتضاب ولا اختصار كما ذكر ذلك في مقدمته له ، فيجب أن يكون الكتاب إذن كتاباً ضخماً في مجلدات ولكننا نجده يذكر في موضع آخر وفي أثناء كلامه على من أسماهم بالصابئة ، هذه الجملة : « وهو كتاب فيه طول ، إلا أني اختصرت منه ما لا بد منه ، ليعرف به سبب ما ذكرت من اختلافهم وتفرقهم ، وأدخلت فيه ما يحتاج اليه من الحجة في ذلك من القرآن والآثار التي جاءت عن الرسول »[1] ، مما يدل أن الكتاب المذكور لم يكن ترجمة كلية لكل الكتب ، وإنما هو ترجمات وتوضيحات وردود وغيرذلك فهو إذن كتاب مؤلف في الأديان ، فيه نصوص وفيه نقول وتوضيحات وشروح ، فهو مؤلف في الفرق والأديان ، بخلها ابن النديم عن وصفه ، فلم يذكر عدد أجزائه ، فأضاع علينا بذلك فوائد كبيرة

ومما يؤسفنا أيضاً سكوت ابن النديم عن الترجمات العربية القديمة لكتب اليهود والنصارى ، والبحث في هذا الموضوع مهم جداً فالذي نعرفه من الكتب العربية القديمة ومن النقول الواردة في كتب أهل الملل والنحل ، أن العربية امتلكت ترجمات

(١) ص ٣٢

(١) الفهرست (ص ٣٢)

لهذه الكتب في العهد الأموي ، وهناك اشارات تدل على وجود هـذه التراجم عند الجاهليين كذلك ، لعلّ الأيام ترشدنا اليها

وقد ذكر المسعودي في اثناء حديثه عن القيصر « ابطلميوس الكصندرس » ترجمات عربية للتوراة ، فقال : « وهو الذي نقلت له التوراة ، نقلها اثنان وسبعون حبراً بالاسكندرية من بلاد مصر ، من اللغة العبرانية الى اليونانية وقد ترجم هذه النسخة الى العربي عدة ممن تقدم وتأخر ، منهم حنين بن اسحاق ، وهي أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس

فأما الاسرائيليون من الاشمعث ، وهم الحشر والجمهور الاعظم ، والعنانية وهم ممن يذهب إلى العدل والتوحيد ، فيعتمدون في تفسير الكتب العبرانية : التوراة والأنبياء والزبور وهي أربعة وعشرون كتاباً

وترجمها إلى العربية على عدة من الاسرائيليين المحمودين عندهم قد شاهدنا اكثرهم ، منهم : أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني ، اشمعثي المذهب ، وكانت وفاته في حدود العشرين والثلاثمئة ، ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومي ، اشمعثي المذهب أيضاً وكان قد قرأ على أبي كثير وقد يفضل تفسيره كثير منهم ... ومنهم داوود المعروف بالقومسي ، وكانت وفاته سنة ٣٣٤ ، وكان مقيما ببيت المقدس وابراهيم البغدادي ، ولم اشاهدهما » [(١)]

وبعض هذه الترجمات التي يذكرها المسعودي أو غيره ، ليست ترجمات كاملة للتوراة في الواقع ، بل هي تفسير وشروح لها أو مقتبسات أو ترجمات للأسفار الأخرى من الكتاب المقدس ، وبعضه ترجمات عن « المشنا » وكتب الأحبار لها أهمية خاصة بالطبع عند اليهود ، وقد نقلت الى العربية ، واستعملها أحبار اليهود في أحكامهم ، فظن المسلمون

---

(١) التنبيه ، (ص ٩٨ وما بعدها ، ١٨٢)

أنها ترجمات حرفية للتوارة

وقد تحدث المسعودي عن اليهود السامرة وعن اختلافهم عن بقية يهود ، فقال : « وبين هذه السنين وما يوجبه حساب التوراة العبرانية تفاوت كثير وكذلك نسخة التوراة التي بأيدى السامرة، وهم الكوشان والدوستان من اليهود بأرض فلسطين والأردن، بيها وبين هاتين أيضاً تفاوت بعيد »[1]

وتحدث المسعودي عن السامرة في كتابه « مروج الذهب » فقال : « والأسامرة تزعم أن التوراة التي في يد اليهود ليست التوراة التي أورد موسى بن عمران عليه السلام ، وأن تلك حرفت وبدلت وغيرت ... وان التوراة الصحيحة هي في أيدي الأسامرة دون غيرهم »[2]

وقد علم العلماء المسلمون أن السامريين يخالفون اليهود في بعض أحكامهم ، ولكنهم لم يكونوا كما يظهر مما كتبوا عنهم أنهم كانوا على وقوف تام على وجوه ذلك الاختلاف

وقد تحدث ابن حزم عن السامرة فذكر أنهم يزعمون أن التوراة التي في أيديهم هي توراة موسى ، وأن توراة اليهود محرفة وذكر أنه لم يتمكن من الوقوف على توراتهم هذه « لأنهم لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن اصلا »[3] ، أي بسبب عدم وقوفه عليهم وبعده عنهم أما الشهرستاني ، فقد ذكر أنهم « يسكنون بيت المقدس وقرايا من أعمال مصر ، يتقشفون في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام ، وأنكروا نبوة من بعدهم رأساً ، إلا نبياً واحداً وقالوا : التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتي من بعد موسى ، يصدق ما بين يديه من

(١) التنبيه (ص ١٨٢)

(٢) المروج (١/٤٩)

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١١٧) « طبعة القاهرة ١٣١٧ »

التوراة ، ويحكم بحكمها ، ولا يخالفها البتة »

وظهر في السامرة رجل يقال له الالفان ، ادعى النبوة ، وزعم أنه هو الكوكب الذي ورد في التوراة أنه يضيء ضوء القمر وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مئة سنة وقد عرض القلقشندي وعلماء آخرون للسامرة وآرائهم وعقائدهم في التوراة وفي سنن يهود [١]

وافترقت السامرة الى دوستانية وهم الألفانية ، وإلى كوسانية والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة والكوسانية معناها الجماعة الصادقة وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها والدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا وبين الفريقين اختلاف في الأحكام والشرائع

وقبلة السامرة ، جبل يقال له غريم ، بين بيت المقدس ونابلس قالوا : إن الله تعالى أمر داوود النبي ، عليه السلام ، أن يبنى بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى ، عليه السلام ، فحول داوود الى ايليا ، وبنى البيت ثمة ، وخالف الأمر ، وظلم والسامرة توجهوا الى تلك القبلة دون سائر اليهود ، ولغتهم غير لغة اليهود وزعموا أن التوراة كانت بلسانهم ، وهي قريبة من العبرانية ، فنقلت الى السريانية » [٢]

وللسامرة لهجة خاصة اشتقت من الارمية ، كتبوا بها ، الى جانب اليهودية وهم لا يعترفون إلا بالتوراة ، أي بأسفار موسى الخمسة المكتوبة بخطهم ، وقد ترجموها بلغة عامية خاصة ، نشأ منها « الترجوم السامري » وقد بقيت منهم بقية لا تزال تعيش في نابلس ، على مقربة من خرائب مدينة السامرة القديمة ، في سفح جبل جرزيم « Gerizim »

(١) صبح الأعشى (١٣/٢٦٥ وما بعدها)

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ، حاشية على الفصل والملل (٢/٥٨)

مكان عبادهم المقدس [1] وهم كالاسرائيليين ينتظرون مسيحاً ، يسمونه في مؤلفاتهم الجديثة بـ « حاشاحيب » أو « حاطاحيب » ، أي المرجّع ، ويعتقدون بالأرواح والملائكة وبخلود النفس وبالقيامة [2]

وقصد المسعودي وأمثاله بالكوسانية والكوشانية لفظة « Kuthim » في العبرانية ، التي أطلقت على السامرة ، من أصل « كونه Cuthah » في أرض بابل بالعراق وأما لفظة السامرة ، فانها من « شامريم Shamerim » التي تطلقها السامرة على نفسها ، ومعناها « الحرّاس » و « المراقبون » أي حراس الشريعة [3]

وحنين بن إسحاق ، هو عالم نصراني مشهور ، ويعرف بأبي زيد العبادي ، فهو من نصارى الحيرة ، وهو من النساطرة ومن الأطباء وله ترجمات لكتب يونانية في الطب وفي النبات وفي أمور فلسفية ودينية توفي سنة « ٢٦٤ هـ » ، (٨٧٣) للميلاد [4] وقد بقيت من أعماله جملة مترجمات وبحوث وقد ترجمه بعض العلماء المسلمين ، وأثنى عليه ابن النديم فقال: «كان فاضلا في صناعة الطب ، فصيحاً باللغة اليونانية والعربية دار البلاد في جمع الكتب القديمة » وقد ذكر جملة من مؤلفاته ، ولكنه لم يشر الى ترجمة له للتوراة وللأناجيل وله كتاب في تأريخ العالم والمبدأ والأنبياء والملوك والأمم والخلفاء ، ابتدأ فيه بآدم ومن أتى من بعده ، وذكر ملوك بني إسرائيل وملوك اليونان والرومان والمسلمين الى

---

(١) شابو : اللغات الارامية وآدابها ، القدس ١٩٣ (ص ٢٠) ، قاموس الكتاب المقدس (١/٥٣٤)، Hastings, Ency. of Relig. and Ethi., Vol,, 11, P. 161, The Univessal Jewish Ency., Vol., 9. PP. 336.

(٢) دائرة المعارف ، للبستاني (٩/٤٠٧ وما بعدها)

(٣) The Universal Jewish Ency., Vol., 9, pp. 335.

(٤) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ٩٢)

(٥) الفهرست (ص ٤٠٩ وما بعدها) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١/١٨٤ وما بعدها) ، ابن القفطي (١٧١ وما بعدها)

أيامه في أيام الخليفة المتوكل [١]

وقصد ابن النديم بـ « أسطورس الرئيس » نسطورَ رئيس النساطرة وأسقف « القسطنطنية » من سنة ٤٢٨ حتى سنة ٤٣١ للميلاد ويقول النساطرة بوجود طبيعتين في المسيح وقد عقدت عدة مجالس كنسية للبحث في هذه المسألة وفي مسائل أخرى سببت انقسام الكنيسة [٢] وقد عاش النساطرة مع المسلمين ، ومع ذلك لم يكن علمهم بهم عميقاً وقد تحدث عنهم الشهرستاني فقال : « إنهم منسوبون الى نسطور الحكيم ، الذي ظهر في زمان المأمون ، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة وإن هذه الأقانيم ، ليست بزائدة على الذات ، ولا هي هي ، وإن الكلمة اتحدت بجسد المسيح ، لا على طريق الامتزاج كما ذهبت اليه الملكانية ، ولا على طريق الظهور كما قالته اليعقوبية [٣] »

وقد تحدث القلقشندي عن النساطرة مستمداً علمه من أبن العميد ، المؤرخ النصراني ، وله كتاب في التأريخ مطبوع ، ومن الشهرستاني وقد أخذ من ابن العميد إشارته الى محاكمته بمدينة « أفسس » وتكفيره في المحاكمة التي جرت فيها وذكر بعد ذلك أنه نفى الى إخميم من صعيد مصر ، ومات بها ، فظهر مذهبه في نصارى المشرق من الجزيرة الفراتية والموصل والعراق وفارس [٤]

وأما العنانية ، ففرقة من اليهود ، تنسب الى عنان بن داوود رئيس القرائين المتوفى بين سنتي ٧٩ و ٨٠٠ للميلاد وكان من مشاهير أحبار اليهود المشهور لهم بمعرفة التلمود تنافس مع أخيه الأصغر حنانيا على رئاسة يهود في العراق ، وذلك في حوالي سنة

(١) عيون الأنباء (١/٢٠٠)

(٢) Ency. of Reli. and Ethi., Vol., 9, pp. 323.

(٣) صبح الأعشى (١٣/٢٨٠ وما بعدها)

(٤) المصدر نفسه

٧٦٢ للميلاد ، لحقد عليه أخوه ، فوشى به عند الخليفة أبي جعفر المنصور ، فقبض عليه وسجنه وبقي مدة في السجن ، حتى أفرج عنه بعد أن أظهر أنه رئيس مذهب ، وأنه يختلف في مذهبه عن بقية يهود ويذكر أن الإمام أبا حنيفة التقى به أيام كان في السجن ، فكلمه وسأله عن مذهبه ولما عرف رأيه في اليهودية أشار عليه ببيان مذهبه للخليفة ، فلما وقف الخليفة عليه ، أخرجه وأقره على رئاسة طائفته (١)

ولم يكن عنان مجتهداً أصيلاً في آرائه ومذهبه ، بل كان مقتبساً ناقلاً في الغالب أخذ من «الصدوقيين Sadducees» ، ومن أتباع أبي عيسى الأصفهاني حوالي سنة ٦٩٠م ، ومن «يدغان yudghan » حوالي سنة ٧١٠ م ، ومن غيرهم أخذ من الصدوقيين رأيهم في حرمة إشعال النار في أيام السبت ، وفي الترجمة الحرفية للتوراة في جعل السبت في ليلة الأحد ؛ وأخذ من العيسوية ، أتباع أبي عيسى الاصفهاني ، رأيها في صحة نزول الوحي على عيسى ومحمد وبنبوءتهما بالنسبة للنصارى والمسلمين وأخذ آراء أحبار آخرين في موضوع إضافة شهر آخر الى السنة الكبيسة ، بجعلها ثلاثة عشر شهراً ، وهو شهر دعاه « شباط الثاني » ، «شبات شيني Shebat Sheni » ، وفي تثبيت صوم « Esther » باليوم الرابع عشر والخامس عشر من آذار (٢)

وقد تأثر عنان بالفقه الإسلامي ، ومنه أخذ رأيه في الأخذ بالقياس في استنباط الأحكام والقياس هو « هاكيش Hekesh» «هاكيش» و« ماه متزنو Mah matzinu » في الفقه اليهودي (٣) ولعله أخذه من الإمام أبي حنيفة في أثناء اتصاله به

أما أبو عيسى الأصفهاني ، فقد كان من يهود ايران ادعى المهدوية ، وأعلن نفسه المسيح الخامس والأخير ، أرسله الله الى بني اسرائيل ، ليخلصهم من السبي ، وليعيدهم الى

---

(١) The Univer. Jewish Ency., Vol., I, P. 293.

(٢) Thr Univ. Jewish. Ency., Vol., I, P. 293.

(٣) المصدر نفسه

أرض اسرائيل وقد ادعى أنه أمي لايقرأ ولا يكتب ، وأن ما ألفه وكتبه هو من الله أوحاه اليه وقد حمله اعتقاده بأنه المسيح المنتظر والمخلص لاسرائيل ، على الثورة على الخليفة أبي جعفر المنصور ، فجمع جيشاً قوامه عشرة آلاف رجل ، وثار به ، ولكنه لم يتمكن من الصمود ، فانهزم في معركة الري ، وسقط في المعركة (١)

ونجد في آراء أبي عيسى الأصفهاني آراء مأخوذة من « الصدوقية Sadducean » ، كما نجد فيها بعض آراء منقولة عن النصرانية والاسلامية وقد ذكر أنه تأثر بالأناجيل وبالقرآن ، واعتقد بصحة الديانتين النصرانية والاسلامية ، وعدهما في حكم اليهودية من حيث الصحة ، وعد الانجيل والقرآن كتابين سماويين ، لكنه اعتبر اليهودية هي الديانة الصحيحة اللازمة لليهود ، وعلى اليهود أن يتمسكوا بها ، لأنها ديانة خاصة بهم ، نزلت فيهم . أما النصرانية والاسلامية ، فلسائر الناس (٢)

وقد رفض أتباع أبي عيسى خبر مقتله ، واعتقدوا أنه حيّ لم يمت ، وأنه اختفى في كهف ، وسيظهر حتماً ليتم أمر الله ورسالته اليه بانقاذ اسرائيل وإعادتهم من المنفى وقد بقيت منهم بقية في اصبهان ودمشق الى القرن العاشر للميلاد ، ثم انقرضت (٣)

ذلك هو مبلغ علم ابن النديم باليهودية والنصرانية والكتب المقدسة عند أصحاب الديانتين ، وهو علم لايتسم كما رأينا بالعمق ، وفيه شيء من السطحية والاضطراب

جواد علي

---

(١) Univer. Jewish Ency., 5, P. 607.

(٢) The Univer. Jewish Ency., Vol., 5, P. 604., Silver, A History of Messianic Speculation. in Israel, 1924, P. P. 55, Graetz, History of the Jews, Vol., 3, PP. 124.

(٣) المصدر نفسه







المجلد العاشر

(١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م



المجلد العاشر

(١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

ما عرفه ابن النديم عن اليهودية والنصرانية

القسم الثاني (*)

ولم يذكر ابن النديم من علماء يهود أحداً سوى « سعديا الفيومي » ، وهو عالم يهودي شهير ، قال : « ومن أفاضل اليهود وعلمائهم المتمكنين من اللغة العبرانية ويزعم اليهود أنها لم تر مثله : الفيومي واسمه سعيد . ويقال سعديا ، وكان قريب العهد وقد ادركه جماعة في زماننا وله من الكتب : كتاب المبادئ ، كتاب الشرائع ، كتاب تفسير أشعيا ، كتاب تفسير التوراة نسقاً بلا شرح . كتاب الأمثال ، وهو عشر مقالات ، كتاب تفسير أحكام داوود . كتاب تفسير النكت ، وهو تفسير زبور داوود عليه السلام ، كتاب تفسير السفر الثالث من النصف الآخر من التوراة ، مشروح ، كتاب تفسير كتاب أيوب ، كتاب إقامة الصلوات والشرائع ، كتاب العبور وهو التأريخ » (1)

ولم يذكر ابن النديم اسم محدثه عن الفيومي ولا بد أن يكون من اليهود الواقفين على أسماء مؤلفاته . وأخباره ، والأغلب أن يكون من أتباعه المتشيعين له

وسعديا ، أو سعيد بن يوسف الفيومي ، هو من أهل مصر في الأصل ولد في « الفيوم » سنة (٨٩٢ م) في أغلب الروايات ، أو سنة (٨٨٢ م) على رواية ، ولهذا نسب الى الفيوم (2) وقد غادر مصر الى فلسطين فالعراق ، فسكن في مدينة « سورا » ، القريبة من « الحلة » ، وكانت من أهم مراكز العلم والثقافة بالنسبة إلى اليهود في ذلك العهد ،

(*) نشر القسم الأول في المجلد الثامن من مجلة المجمع العلمي العراقي

(1) الفهرست (ص ٤ وما بعدها من الطبعة المصرية)

(2) M. Aberbach, Saadia Gaon, P. 6.

وتولى رئاسة يهود سورا حتى سنة (٩٤٢ م) (٣٣١ هـ) ، فتوفي فيها ، ودفن في قبر جعله اليهود مزاراً يقصدونه ، من مختلف أنحاء العراق

ولا نكاد نعرف من أخبار أسرته شيئاً يذكر ، وذكر خصومه أن والده لم يكن يهودياً في الأصل ، وإنما كان مصرياً مهوداً ، فلما ولد « سعديا » ، اتبع دين أبيه ، ولكن أتباعه ومشايعيه يرون أنه من أصل يهودي قديم ، وأن والده من نسل أحد أحبار يهود المعروفين وقد كان والده عارفاً بديانة قومه ، تولى بنفسه تثقيف ابنه سعديا وتعليمه ، فعلمه أحكام دينه ، فكان والده لذلك معلمه الأول

كان « سعديا » محباً للتعلم والدرس مذ كان طفلا ، فدرس العلوم العربية بأنواعها ، ودرس العبرانية والكتب الدينية اليهودية من توراة وتلمود ومشنا ، وكتب دينية أخرى ، وتعلم الاغريقية ومعارف اليونان : وأحاط بمعارف يومه من فلسفة ورياضيات وجغرافيا وتأريخ وموسيقى وشعر ولغة وهيئة وديانات ، وانكب على تعلمها ، حتى برع فيها ، وحاز على شهرة كبيرة عند بني قومه يهود ، وعند المسلمين كذلك

ويقال : إنه ، وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، اختلف مع قومه في بعض الآراء ، وخاف على نفسه من هذا الاختلاف ، لعدم تسامح مجتمعه في قضايا الاختلاف بالرأي ، فهاجر الى فلسطين وأقام أمداً في « طبرية » مركز العلم والثقافة عند اليهود في ذلك العهد وقد اشتهر بالعناية بدراسة التوراة والتلمود و « المدراشيم » وحديث يهود ، وباللغة العبرانية ، وبالمحافظة على التقاليد اليهودية القديمة ، وبأخذها بظواهر النص وبالتمسك بالحرفية ، وأخرجت جماعة من رجال العلم عندهم ، اجتمع بهم وأخذ منهم ، وزاد علمه بذلك باللغة العبرانية وبالعلوم اليهودية الدينية وقد أفادته هذه الدراسة اللغوية فائدة كبيرة في الوقوف على اللغة وعلى التأليف فيها ، فوضع معجماً لها ، وألف في موضوعات نحوية ولغوية ، ونشط هذه الدراسة بعد أن كانت شبه ميتة في ذلك الزمان

ثم ترك « طبرية » ، وسار الى بلاد الشـأم فالعراق ، مركز العلم والثقافة في العالم يومئذ ، واختار « سورا Sura » ، القريبة من « الحلة » مكاناً له وكانت « سورا » مركزاً من مراكز العلم لليهود في العراق ، لا ينافسها في ذلك إلا « فومبديثة Pumbedita » بجوار الأنبار ، التي اشتهرت بمدارسها في دراسة التلمود وبعلمائها الذين ذاع صيتهم بين يهود العراق وفلسطين وقد كانت مثل « سورا » من المستوطنات اليهودية القديمة التي سكن فيها اليهود منذ أيام السبي ، وتمتعت باستقلال في ادارة شؤونها وفق الشرع اليهودي

وقد كان العراق في هـذا العهد أعظم مكان في البلاد الاسلامية وفي العالم في دراسة العلوم الشرعية والعلوم العقلية ، تنازعته آراء ومذاهب عديدة فلسفية وكلامية من دخول الآراء الفلسفية اليونانيـة اليه ولم تكن هذه الآراء فلسفة يونانية خالصة ، بل كانت مشوبة في الغالب بآراء غريبة نصرانية دخلت عليها ، وآراء نبعت من الجهل بمفهوم الفلسفة اليونانية وبالنصوص اليونانية وباللغة الاغريقيـة ثم إن أكثر المترجمات العربية ، هي ترجمـة مترجمات فكثير من الذين ترجموا المؤلفات اليونانية الى العربية ، لم يكونوا يعرفون اللغة اليونانية ، إنما ترجموها عن الترجمات السريانية وقد كان بعضهـا شروحاً وتفاسير نصرانية ، وضعها علماء نصـارى من السريان على تلك المؤلفات ، فاختلط الأصل بالشرح ، وامتزجت الوثنية اليونانية بالنصرانية الشرقية ، وجاء هذا الخليط شيئاً جديداً لم يكن من السهل على العلماء المسلمين ، وجلّهم ممن لم يكن يعرف اليونانية وفلسفتها بلسان أصحابها ، من رَجْعِ تلك الفلسفة الى عناصرها الأصلية النقية

ولم يكن من الممكن بالنسبة الى اليهود العراقيين عزل أنفسهم عزلاً تاماً عن غالبية السكان وهي اسلامية ، ولا عن الأقليات النصرانية التي عاشت بين ظهرانيها ، فتأثروا لذلك بالمؤثرات الفكرية التي سادت على هذا المحيط وانجرف بعض علمائهم في هذه التيارات كما انجرف غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ، وظهرت بينهم الآراء التي أوجـدت المعتزلة والأشعرية وأصحاب الظاهر وغيرهم من أصحاب المذاهب الكلامية والفقهية في الاسلام .

وظهر بينهم جدل في المشكلات التي أثارت الجدل بين النصارى والمسلمين وفي أمور أخرى مثل ظهور المسيح

ونجد في كتب الملل والنحل والتواريخ أسماء رجال من اليهود قيل إنهم جاؤوا ببدع وآراء مناقضة لدين يهود ، وأن نفراً منهم زعم أنه المسيح الموعود ، ونسبوا اليهم أموراً تخالف شريعة موسى ولكننا يجب أن نأخذ هذه الروايات على حذر ، لأنها نقلت عن خصومهم وأعدائهم ، والعادة في ذلك الزمن أن يسم المعارضون أعداءهم بتلك السمات دون مناقشة وجدل ، وأن يتقدم رؤساء أهل الذمة الى الخليفة أو من يقوم مقامه بتلك التهم ليأمر بتأديبهم ومعاقبتهم والقضاء على فتنتهم ، لأنهم أهل ذمة وفي ذمة المسلمين ، وان على الخليفة ومن يقوم مقامه لذلك حماية دينهم من أصحاب الفتن والشعوذة

ومن هؤلاء رجل يقال له « اسحاق أبوعيسى بن يعقوب الأصبهاني » ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أنه عرف عند قومه بـ « عوفيد الوهيم » ، أي عابد الله ، وسمي أتباعه : « العيسوية » ، قال : إنه كان في زمن المنصور ، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد ، فاتبعه بشر كثير من اليهود وكان يدعي أنه نبي ، وأنه رسول المسيح المنتظر ، وأنه زعم أن للمسيح خمسة من الرسل ، يأتون قبله واحداً بعد واحد ، وأن الله كلمه ، وكلفه أن يخلص بني اسرائيل من أيدي الأمم العاصين والملوك الظالمين وكان يوجب تصديق المسيح ، ويعظم دعوة الداعي ، ويدعى ان الداعي هو المسيح ، وحرم الذبائح كلها ، ونهى عن أكل كل ذي روح على الاطلاق طيراً كان أو بهيمة ، وأوجب عشر صلوات ، وأمر أصحابه باقامها وذكر أوقاتها ، وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة .

وذكر الشهرستاني أن اتباعه ادعوا له آيات ومعجزات ، وأنه ذهب الى يهود ما وراء النهر المرمل ليسمعهم كلامه ، وأنه أوجد له أتباعاً ، فلما اشتد أمره واشتط ، وعصى الخليفة

المنصور ، حاربه أصحاب المنصور بالري ، فقتل وقتل أصحابه [1]

وذكر الشهرستاني أيضاً اسم شيعة يهودية دعاها « العنانية » ، نسبة إلى « عنان بن داوود » من يهود العراق في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور ، قال في أصحابها : إنهم يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد ، وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد ، ويذبحون الحيوان على القفا ، ويصدقون عيسى في مواعظه واشاراته ، ويقولون : إنه لم يخالف التوراة البتة ، بل قررها ، ودعا الناس اليها ، وهو من بني اسرائيل المتعبدين بالتوراة ومن المستجيبين لموسى ، إلا انهم لا يقولون بنبوته

وذكر أيضاً أن من هؤلاء من يقول : إن عيسى ، لم يدّعِ أنه نبيّ مرسل ، وليس من بني اسرائيل ، وليس هو صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى ، بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة ، وليس الانجيل كتاباً أنزل عليه وحياً من الله ، بل هو جمع أحواله من مبدئه الى كماله ، وإنما جمعه أربعة من أصحابه الحواريين ، فكيف يكون كتاباً منزلا ؟ الى أن قال : قالوا : واليهود ظلموه حيث كذبوه أولاً ، ولم يعرفوا بعد دعواه ، وقتلوه آخراً ، ولم يعلموا بعد محله ومغزاه وقد ورد في التوراة ذكر «المشيحا» في مواضع كثيرة ، وذلك هو المسيح ، ولكن لم ترد له النبوة ولا الشريعة الناسخة وورد « فارقليط » ، وهو الرجل العالم ، وكذلك ورد ذكره في الانجيل ، فوجب حمله على ما وجد وعلى من ادعى غير ذلك تحقيقه وحده [2]

وقد أخذ الشهرستاني أخباره هذه عن العنانية ، من موارد يهودية معارضة لهم على ما يظهر ، ففيها اشارات أيضاً الى ميل عنان الى النصرانية ، وهو طعن قصد منه غمزه ورميه بالأخذ من النصرانية وتأثره بها وبابعاده لذلك عن يهود .

---

(١) الملل والنحل (ص ٥٠٦) « طبعة القاهرة »

(٢) الملل والنحل (ص ٥٠٣) ، « طبعة القاهرة »

و « عنان بن داوود » هو ممن عاشوا في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور أيضاً ، فهو من رجال القرن الثامن الميلادي ، ويقال : إنه توفي فيما بين ٧٩٠ و ٨٠٠ للميلاد ، ويعرف اتباعه بـ « القرائين » وبـ « بني المقرا » ، لأخذهم التوراة وحدها ، ورفضهم « التلمود » ، فانشقوا بذلك عن غالبية يهود التي تنظر الى التلمود ، نظرة المسلمين الى الحديث فالتلمود عندها أصل من أصول التشريع يلي التوراة في الحكم ، ويذكر أنه اختلف مع قومه في ترشيحه لتولي منصب « رأس الجالوت » ، « ريش جالوتا » و « ريش كالوتا » ، أي منصب عميداليهودالمتولي لأمورهم الذي يرجع اليه في إدارة أمور يهود الدنيوية وتنظيم شؤونهم ، والممثل لهم عند الخليفة أو من يقوم مقامه . فلما لم يعينه قومه لهذا المنصب المهم ، انشق عليهم ، وخالف « الربانيين » وحمل عليهم (١)

ولم يكن من السهل على اليهود تحمل رأي القرائين في وجوب الأخـذ بنص التوراة وحدها ونبذ التلمود ، فأكثر أحكام اليهود مستمدة من التلمود والمشنا والـكمارة ، ومن فتاوى الأحبار والربانيين وأحكامهم ، وهي مكملة ومتممة كلها للتوراة ورفض هـذه الموارد في نظرهم هو هدم لشريعة موسى وبقية الأنبياء يضاف الى ذلك ذهاب « عنان » وأتباعه مذهب أهل الاعتزال في الأصول وفي الفروع ، وفي التوحيد والعدل والصفات ، وفي الحسن والقبح ، وفي الخلق والجبر والاختيار والمادة والهيولي وما شاكل ذلك من مشكلات أثارت جدلا حاداً بينهم وبين خصومهم اليهود ، حتى ليصعب على المرء التفريق بين كتب المعتزلة وكتب القرائين في موضوعات علم الـكلام

وعلى الرغم مما عرف عن اليهود من التمسك بأحكام الشريعة على نحو ما وردت ، وبالتعلق بالحديث وبأقوال علمائهم وفتاواهم ، فقد لقيت آراء « عنان » رواجاً بين يهود العراق حمل « رأس الجالوت » على مراجعة الخليفة بشأن فتنته ، منها إياه بالـكفر والابتداع والخروج على دين يهود ، حتى أصـدر الخليفة أمره بحبسه ويقال : إنه لقي ، وهو في

(١) M. Aberbach, P. 8.

الحبس ، أبا حنيفة النعمان بن ثابت ، فقص عليه قصته ، فأشار عليه أن يتقدم الى الخليفة برأي ، هو : أنه لم يكن مبتدعاً كافراً ، وإنما هو صاحب رأي واجهاد ، له رأي في الدين ، وبذلك ينجو من السجن ، فنجا [1] ، فأخرجه الخليفة ، وذهب الى فلسطين

وقد وضع « عنان » كتابين : كتاب الفرائض ، وكتاب الفذلكة ونشط وهو في القدس لنشر دعوته ، ووجد له أتباعاً ، نشروا دعوتهم في أماكن بعيدة أيضاً ، مثل مصر وشمال افريقية والأندلس ، حتى بلغوا روسية ، ولكنهم تشتتوا فيما بعد ، وتخالفوا ، ومع ذلك بقيت لهم بقية حتى الآن [2]

وفي جملة الفُتات المتناثر من القرائين ، جماعة عرفت بالعكبرية ، نسبة الى اسماعيل العكبري ، وموسويه العكبري ، من معاصري الخليفة المعتصم بالله العباسي [3]

وفي جملة ما آخذ به الربانيون القرائين ، أخذهم بالاهلال في تعيين الشهور وتثبيت الأعياد ، أي بوجوب رؤية الهلال بالعين وثبوت ذلك بشهادة شهود عدول على نحو مايفعل المسلمون وقضية الإهلال هي من المسائل الفقهية التي أثارت جدلاً عند اليهود ، فقد درج العبرانيون بعد جدل واختلاف على تثبيت التقويم العبراني ، فصارت الأعياد بموجبه ثابتة معروفة والاهلال يتعارض مع هذا التقويم ، ويجعل أيام الأعياد متغيرة ، وهذا مما يربك اليهود ، ويجعل العيد اليهودي أعياداً

وكان من بين من حارب القرائين وشدد النكير عليهم ، « سعديا الفيومي » ، حاربهم في المعابد ، وردّ عليهم مبيناً فساد نحلتهم وآرائهم رأى أن في معارضتهم للتلمود تمزيقاً لليهودية وقضاء عليها ، فالتلمود هو جل تعاليم يهود ، ورفض التلمود معناه رفض اليهودية

---

(١) ضحى الاسلام (٣/١٠٦)

(٢) دائرة المعارف اليهودية مادة Karaite،

Martin Schreiner, Der Kalam in der Judischen Literatur, Berlin 1895،

(٣) رحلة بنيامين (ص ١٣٠)

وإبطال أحكامها وكيف يستطيع اليهودي فهم التوراة إذا أعرض عن التلمود وعن تفاسير الربانيين ، وأخذ يلتمس مواطن الضعف في العنانية فيسدد السهام اليها ؟ لقد عمد القراؤن الى التفسير الحرفي للتوراة ، فدفعهم ذلك الى الجمود ، فتشددوا في حرمـــة السبت تشدداً صيّره تزمتاً ، فحبسوا أنفسهم في أيام السبت ، ولم يتنقلوا ، ولم يسمحوا بالاضاءة ولا باستدعاء الطبيب فيه أو احضار الدواء وطبخ الطعام لمريض ، وقضوا ليلة السبت في ظلام دامس ، وتشددوا في أمور أخرى تساهل فيهـــا الربانيون لوجود فتاوى في التلمود وفي الكتب الأخرى تبيح لليهودي القيام بمثل هذه الأعمال عند الضرورات [1]

وكان في جملة من عارض القرائين ورد عليهم بعنف ، « هـارون بن مئير » رأس « مدراش » طبرية ، ومن أحبار فلسطين الذين ذاع اسمهم في الخارج وانتشر حتى بلغ يهود العراق وكان من معاصري « سعديا » ومن خصومه اللّدّ وإن اتفقا في معاداتهما هذه للقرائين فقد أصدر « هارون » أمراً بتعديل التقويم العبراني وباجراء تعديل فيه أدى الى تغيير مواعيد الأعياد قليلاً ، فتقدمت يومين على الأوقات المثبتة في التقاويم . وأدى هذا التغيير الى وقوع خلاف بين أتباعه وبين اليهود الذين أبوا قبـول ذلك التعديل وتمسكوا بالتقويم السابق والى انقسام اليهود الى طائفتين في الأعيـــاد وهذا مما أثار « سعديا » الذي كان يحارب الفرقة ويدعو الى الوحدة [2] فردّ عليه ردّاً عنيفاً ، وهاجمه في وعظه وفي تآليفه ، وأرسل رسائل عديدة الى « طبرية » والى مواضع أخرى من فلسطين في الرد عليه ، حتى تمكن من التأثير فيمن اتبعوه ، فتراجع أكثرهم عن تقويمه ، وعادوا الى استعمال التقويم القديم

ولـ « سعديا » مؤلفات عديدة ألفها بالعربيـــة ، وقد سمي ابن النديم أغلبها ، وله

(١) Saadia Gaon. P. II.

(٢) Saadia Gaon PP. 12.

مؤلفات بالعبرانية كذلك ، ومن مؤلفاته «كتاب التاج » ، وهو ترجمة أسفار العهد القديم الى اللغة العربية وكتب في تفسير بعض أسفار التوراة مثل : كتاب تفسير أشعيا ، وكتاب تفسير النكت وهو تفسير زبور داوود ، وكتاب تفسير السفر الثالث من النصف الآخر من التوراة مشروح ، كتاب تفسير كتاب أيوب ، وكتاب تفسير التوراة نسقاً بلا شرح [١]

وتعد ترجمة « سعديا » للتوراة من أقدم الترجمات المعروفة في العربية حتى أن بعض علماء اليهود المحدثين ذكر أن ترجمته هذه كانت أول ترجمة عربية كاملة للتوراة [٢]

وذكر ابن النديم أن أحمد بن عبد الله بن سلام كان قد ترجم التوراة أيضاً ، وترجم كتباً دينية أخرى، يهودية ونصرانية وصابئية ، ترجمها من العبرانية واليونانية والصابئية ، ويريد بها لغة بني إرم ترجمها ترجمة حرفية كلمة كلمة مع محافظته على المعنى والنسق العربي ترجمها « لأمير المؤمنين هارون » ، وهو هارون الرشيد وقد وقف عليها ابن النديم وقرأها ونقل منها ، وكانت في كتاب قديم ، يظهر أنه من خزانة كتب المأمون [٣]

• ويظهر أن الشروح والتفاسير التي ذكرها « ابن النديم » ، هي تفاسير لأسفار من التوراة ألفها « سعديا » لتساعد اليهود وغيرهم على فهم الأسفار والوقوف على معانيها ، كما فعل المسلمون في تفسير القرآن الكريم أو في تفسير سور منه ، فسرّها استناداً الى ما جاء في التلمود وفي الكتب الدينية الأخرى التي ألفها الأحبار ، فساعد في تقريب التوراة والموارد الدينية الأخرى الى عقول اليهود ، وعمل على إحياء الدراسات العبرانية القديمة التي أصيبت قبل أيامه بخمول وإهمال

وعلى رأس مؤلفات سعديا مؤلفه المعروف بـ « كتاب الأمانات والاعتقادات » ، ألفه

(١) الفهرست (ص ٤)

(٢) Saadia Gaoan, P. 27, Rodwell's, The Koran P. 11.

(٣) الفهرست (ص ٣٨ وما بعدها)

في بغداد سنة (٣٢١ – ٣٢٢) للهجرة (٩٣٣ م) باللغة العربية ، ونقله « يهودا بن تبون » « Judah b Tibbon » الى العبرانيـــة وسمـاه « ســـفر امونوت وديعـوت » « Sefer Emunot we-De'ot »[1] وقد طبع « لاندَوَرْ » Landauer « النص العربي في سنة (١٨٨٠م) عدينة « ليدن » ، أما الترجمة العبرانية ، فقد طبعت مراراً[2]

ولسعديا « كتاب الخليقة » ، « سفر يتسيره Sefer Yetsirah » ، وهو في التصوف وفي موضوعات من علم الـكلام ألفه في سنة « ٩٣١ م » ، وكان في أوج خصومته مع « داوود بن زكاي David ben Zaccai » وقد تطرق فيه الى قضايا متعددة : كقضية الـكون والخلق والقـدم والله ، وذهب فيه الى أن الأرض كروية على عكس ما ذهب اليه معظم أصحـابه في ذلك العهد ، كما ذهب الى وجود أثر للنجوم وللأعـداد في حيـاة الانسان[3]

ومن أقدم مؤلفاته التي وضعها في أول عهـده بالتأليف معجمه العبراني المعروف بـ « سيفر هاجرون Sefer Hagron » ، وهو معجم في اللغة العبرانية ، بادَ ولم يبق منه إلا مقدمته العبرانية والعربية ونبذ قليلة وقد أراد « سعديا » أن يحيي به اللغة العبرانيــة ويساعد طلابها في فهمها والوقوف عليها وتحدث فيه أيضاً عن القواعد النحويه والصرفية الأساسية لهذه اللغة ، كما وضع ترانيم دينية لتتلى في المعابد في أثناء الصلوات ، عبرت عن معان دينية عميقة وعن حس ديني مرهف[4]

(١) O'leary, Arabic Thought, P. 238. Saadia Gaon, P. 29

(٢) Isaac Husik, a History of midiaeval Jewish Philosophy, P. 444.

(٣) Jacob Guttmann. Die Religionphilosophie des Saadia, Gottingen, 1882, D. J. Engelkemper, Saadia Gaon's religionphilosophische Lehre über die heilige Schrift, Munster, 1903,
Saadia Gaon, PP. 28.

(٤) Saadia Gaon, P. 27.

ويتبين من دراسة « كتاب الأمانات والاعتقادات » ، أن « سعيداً الفيومي » كان قد سلك طريق المعتزلة في تأليفه ، وتأثر بآرائهم في التوحيد والعدل والصفات ، وفي البحث عن المادة والهيولي والمقولات العشر وبقية البحوث التي تعرض لها أهل الاعتزال ، واستخدم براهينهم وحججهم ، ولكنه إذ سلك طريقهم هذا وأخذ بأدلتهم في التوفيق بين العقل والنقل ، فإنما فعل ذلك رغبة منه في التوفيق بين الشريعة الموسوية والآراء الفلسفية ، لجلب اليقين الى نفوس اليهود ، ولترسيخ اليهودية فيهم ، ولاثبات أن اليهودية، ولا سيما تعاليم التلمود منها ، لا تتعارض مع العقل ولا تصطدم بالفلسفة وعلوم الطبيعة وللسبب نفسه درس مؤلفات أرسطو العربية بصورها المختلفة ، على طريقة أهل العراق في هذا الزمن ، وحاول جهده التوفيق بين الفلسفة الارسطوطاليسية وشريعة يهود [1] ، فكان مثله في ذلك مثل الفلاسفة المسلمين كالكندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم ، ممن حاولوا جهده التوفيق بين الشريعة والفلسفة ، وإثبات أنهما متوافقان ومتلائمان

وفي جملة ما بحثه موضوع صفات الله الواردة في التوراة وفي التلمود والكتب الدينية الأخرى ، وفي بعضها دلالة على التجسيم والتشبيه ، مثل يد الله ، وعرش الله ، ورأس الله وعين الله ، وفي بعض آخر دلالة على انفعالات لاتقع إلا للانسان ، مثل رضى الله وغضب الله وعظمة الله ورحمة الله وأمثالها ، فذهب في ذلك مذهب المعتزلة ذهب الى أنها صفات ذوات معانٍ مجازية ، وإن دلّت على تجسيم وتشبيه وانفعالات انها أبعد ما تكون عن التجسيم والتشبيه والانفعالات فالله واحد أحد، ليس له مثيل ولا شبيه، ولا يشبه الأشياء وورود هذه الصفات على هذا النحو ، إنما هو نوع من أنواع البلاغة في التعبير [2]

---

(١) Isaac Husik, A History of mediaeval Jewish Philosophy, P. 26.

(٢) Isaac Husik, A History, P. 34.

وقد استعان « سعديا » بمقولات أرسطو العشـــر « The Ten Categoris » ، لاثبات أن الله الخالق لا يشبه خلقه ، وأن المخلوقات لا تشبه خالقها البتة ، وأن كل ما في الـكون مخلوق وهو إما جوهر ، وإما عرض ، والجوهر هوأول المقولات العشر وأهمها ، وأن الله هو السبب الأول للجوهر والعرض ، لذلك لا يمكن أن يكون الجوهر أو العرض مثل الخالق وهـكذا سخر مقولات أرسطو ، الذي لم يكن بالطبع موحداً ولا مؤمناً ايمان أهل الأديان السماوية ، لنفي الشبه عن الله

وفي جملة ما بحثه من موضوعات ، موضوع «الروح » وهو موضوع شائك محـير فقد ذهب بعضهم إلى أن الروح عنصر مثل الهواء أو النار ، حل في الجسم ، يعرف من فعله وذهب بعض آخر الى أنها عرض من أعراض الجسم ، مرتبط به ، ووجودها بوجوده ، فاذا هلك الجسم ، هلـكت روحه وأنـكر آخرون وجودها ، ونســبوا ما يقال له الروح الى فعل المـادة التي هي الجســم وقد ذهب « سعديا » إلى أن الروح جوهر يخلقه الله ، في الوقت الذي يخلق فيه الجسم ، فهو جوهر حادث ، لم يكن له وجود قبل الأجسام ، نخالف بذلك رأي « أفلاطون » القائل إن الأرواح أبدية ، وقد خلقت منذ الأزل وقبل خلق الأجسام وذلك بسبب استحالة وقوع الأزليـة بالنسبة الى المخلوقات ولما كـانت الروح من خلق الله ، فلا يمكن أن تكون أزلية منذ القدم اذن وهي لم تدخل الأجسام مـن الخارج ، وإنما خلقت معه وفيه وهي ليست مادة بالمعنى المفهوم من المادة ، وإنما هي جوهر لطيف ، لا تمـكن رؤيته ، وإنما يدرك أثره ، تحس بنفسها ، والجسم هو الآلة التي تظهر فعل الروح ولو لا الروح لما دبت الحياة فيه ، ولا اكتسب العلم ويتجلى فعل الروح في الجسم في العقل والنفس والارادة ولـكنــه لم يذهب مذهب أفلاطون في تقسيم الروح الى أقسام عديدة ، جعل لـكل قسم مِنْطَـقَـةً معينة حلت فيها من الجسد ، بل ذهب الى أن تلك المظاهر الثـلاثة للروح تعود كلهـا الى الروح ، ومركزها القلب ومن القلب يكون الحس والادراك

وزعم أن اقتران الروح بالجسد ، بسبب أن الروح لا يمكن أن تعمل إلا بجسد تكون فيه ووجودها بغير جسد ، هو هباء وعبث ولو لا الأجساد ، لما صار للأرواح فعل وعمل ، ولما صارت لها قيمة وشأن ، فالأجساد ضرورة للروح لازمة ، واقتران الروح بها هو من رحمة الله للانسان ، وليس الجسد سجنا لها كما زعم أصحاب الافلاطونية الحديثة ، الذين رأوا أن خلاص الانسان من سجن الدنيا ، هو بخلاص الروح من الجسد ، أي بانطلاقها منه ، لأن المادة ، والأجساد نفسها مادة ، هي شر ونجاسة ، وقد ألقى الله على زعمها بالروح في الجسم عقاباً لها على الخطيئة ولن يكون الخلاص من هذه الخطيئة بخروج الروح من الجسد

وقد ذهب في موضوع اللطف والحسن والقبح والأفعال والوحي والعقاب مذهب أهل الاعتزال أيضاً وهكذا أدخل « سعيد » مذهب المعتزلة في علم الكلام الى اليهودية ، وغايته من ذلك معالجة تلك المشكلات التي جابهت اليهود في العراق وفي كل مكان فأثارت شكوكاً في نفوس كثير من اليهود في الشريعة الموسوية ، وفي التئامها مع العقل ، فحاول جهد إمكانه إثبات أن اليهودية لا تتعارض مع العقل ، وأن العقل والايمان هما توأمان متلازمان ، وأنهما من منبع واحد ولا يتعارضان [1]

لقد كان للعراق أثر كبير في توجيه « سعيد الفيومي » وفي طريقة تفكيره فالعراق منذ زمن قبل الإسلام مكان من أمكنة الجدل والمناقشة والنقد في الشرق الأوسط ، وموضع من أشهر المواضع التي عرفت بظهور المذاهب فيه ، وفي أيام وصول هذا العالم اليهودي الى العراق قادماً من مصر ، البلد الهادئ المؤمن ، كان الجدل قد بلغ أوجه في الكوفة وبغداد والبصرة في موضوعات علم الكلام والفلسفة ، بالاضافة الى النزعات والاتجاهات التي حملها أناس متحللون ، ونفر أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر به وبالأديان ،

(١) Saadia Gaon, P. 28.

وجماعة شككت في كل شيء ، وآدعت أنها لا تخضع إلا للعقل ، فكان من الطبيعي أن يتأثر « الفيومي » بهذه البيأة الجديدة التيعاش فيها ومات فيها ، وأن يظهر ذلك التأثر في الاتجاه الفلسفي الديني الذي سيطر عليه

وهناك عالم يهودي آخر ، تأثر بمذهب أهل الاعتزال وسار على نهجهم في علم الكلام ، هو « داوود بن مروان » المعروف بالمقمص وبالرقي نسبة الى الرقة وبالواسطي العاقولي ، لم يقف ابن النديم على خبره ، فلم يشر اليه ولا نعرف من أمره الا ما ذكره « يهودا بن برزلاي Judah ben Barzilai » مفسر « سفر الخلق Sefer yezirah » فقد قال عنه : إنه كان معاصراً لسعيد الفيومي ، وقد تعلم منه كثيراً

وللمقمص كتاب باللغة العربية في علم الكلام ، « عشرون فصلاً » ، ضاعت خمسة فصول منه ، وبقي خمسة عشر فصلاً منها ، ظفر بها أحد المستشرقين الروس في سنة (١٨٩٨ م) (١)

واذا أضفنا الى هذين المتكلمين ، عالماً يهودياً آخر اسمه « اسحاق بن سليمان الاسرائيلي » المتوفى قريباً من سنة ٣٢٠ للهجرة ومن مواليد مصر ، الذين مارسوا الطب وانتقل الى القيروان ، واشتغل عند الفاطميين ، نكون قد وقفنا على أقدم المتكلمين والفلاسفة عند اليهود في العصور الإسلامية وكان قد درس الطب على اسحاق بن عمران الملقب بـ « سم ساعة » البغدادي الأصل ونزيل القيروان ، وشيخ أطباء زمانه بالمغرب ، وناشر الطب هناك ، ولازمه حتى برز في هذا العلم وألف كتباً شهيرة فيه ، مثل كتابه « في البول » ، « فإنه أشبع كتاب ألفه مؤلف ، بذ فيه جميع المتقدمين ، وكتابه في الحميات ، وكتابه في الغذاء والدواء » واشتغل مع ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق ، وألف فيها : « كتابه الذي سماه بستان الحكمة ، وكتابه في الحدود وكتابه في المنطق ، وكتابه في

(١) Isaac Husik, PP. 17.

الترياق » [1] وحصل بها على شهرة واسعة بين الفلاسفة اليهود

وقد انتقلت شهرته الى الغربيين بفضل ترجمة « قسطنطين افر » Constantinus Afer لمؤلفاته الى اللغة اللاتينية ، وبواسطة هذه الترجمات وقف علماء الغرب ومفكروه يومئذٍ مثل « البرتس مكنوس Albertus magnus » و « Vincent of Beauvais » و « توماس اكوينو Thomas Aquinos » وأضرابهما على آرائه وأفكاره ويتبين من مؤلفاته التي وضعها بالعربية ، وفقدت ولم يبق منها غير نتف وغير ترجماتها العبرانية واللاتينية ، أنه كان طبيباً فيلسوفاً، حاول التوفيق بين الآراء الفلسفية الأرسطوطاليسية والأفلاطونية الحديثة، وذلك على نحو مافهمها ووقف عليها بثوبها العربي أما مباحث علم الكلام ، فقلما عُني بها ، فهو بذلك على عكس « سعيد الفيومي » و « المقمص » وأما الموضوعات اليهودية والشريعة اليهودية ، فلم يبحث فيها ، ولم يهمه أمرها ، إذ كان طبيباً فيلسوفاً أولاً ، ولم يهتم بالتوراة وبالشريعة إلا بقدر مالها من صلة بالفلسفة والطب [2]

ويعد « يوسف بن ابراهيم البصير » ، وهو من القرائين ، من علماء الكلام الذين أدخلوا رأي أهل الاعتزال الى اليهودية ، بل كان أكثر تقيداً بآراء المعتزلة من « سعيد الفيومي » إذ كان الفيومي قد خالف بعض آراء المعتزلة ، ولم يستعمل كل أدلتهم وحججهم في اثبات آرائهم أما « البصير » ، فقد اعتمد على منطقهم كلية ، وتأثر بآرائهم الى حد كبير وبتأثيره ولا شك غرف تلميذه « يوشع بن يهودا » المعروف بـ « أبي الفرج فرقان ابن أسد » ، من معين الاعتزال أيضاً وقد كان من وجوه القرائين البارزين في فلسطين

(١) ابن جلجل (ص ٨٧) ، ابن ابي اصيبعة (٢/٣٢) ،

Brockelmann, Band. I. S. 235, Suppl., I, S. 421.

(٢) I Isaac Husik, P. 16.

ومن فقهائهم ويظهر في فقهه أثر الفقه الإسلامي [1]

وشاء يهود الأندلس منافسة يهود العراق ومدارس العراق في باب الفلسفة والكلام والتوفيق بين العقل والنقل فبعد أن كانت « سورا » و « فومبديثة » وبغداد ، تمدُّ يهود بلاد الشأم وبلاد افريقيا والاندلس بالآراء الفلسفية وبينابيع الحكمة ، وبالاحكام الدينية وتثبيت التقاويم ، وتجيب عن الفتاوى والمسائل المتعلقة بالشريعة ، تمكن رجال من يهود الاندلس وشمال إفريقيا من منافسة رجال العراق في زعامة الفكر اليهودي المتأثر بالفكر الاسلامي فظهر في الأندلس مفكر يهودي اسمه « سليمان بن جبريل » « Solomon ibn Gabirol » وجماعة آخرون ألفوا في هذه العلوم وتفوقوا فيها ولفتوا اليهم انتباه العالم اليهودي ، وذلك بفضل أثر الثقافة الاسلامية فيهم ، وبمساعدة الحكام المسلمين لهم

والفضل في ظهور هذه النهضة يرجع الي « الحكم بن عبد الرحمان الناصر لدين الله ، أمير الأندلس » فقد كان هذا الأمير سمحاً متسامحاً ، محبّاً للأدب والفلسفة مشجعاً للعلماء والباحثين اختار له طبيباً من اليهود ، اسمه «حسداي بن شفروط Hasdai ibn Shaprut » المتوفى سنة ٣٦٠ أو ٣٨٠ للهجرة ، وكان « حسداي » مثل أميره وحاميه ، محبّاً للعلوم والآداب مشجعاً للباحثين ، فشجع أبناء دينه على الانصراف الى دراسة العلوم اليهودية والحكمة والفلسفة والعلوم الزمانية ، واستدرج العلماء اليه ، ورفّه عنهم وأغدق عليهم ، فساعد بذلك على جعل قرطبة مركزاً خطيراً من مراكز الحركة الفكرية عند المسلمين وعند من في ذممهم من يهود ، فاستقل بذلك يهود الأندلس ، ولم يعودوا يراجعون يهود بغداد في تعلم علمهم وفقههم وأحكام دينهم ، وبعث الحركة الأدبية ، وذلك بدراسة العبرية صرفاً ونحواً ، وأخذ

(١) Isaac Husik, P. 55, P. F. Frankl. Ein Mu'tazilitischer Kalam aus dem 10. Jahrhundert, Wien, 1872, Miska Klein, Juzuf Al-Basir Al-kitab, Al-Muhtavi, Budapest, 1915.

بيد « موسى بن أنوخ « اخنوخ » «Moses ben enoch» ، وهو عالم يهودي من أهل العراق ، اشتهر بعلمه بالتلمود ، جاء الى قرطبة ، فأقام بها ، وأخذ يشرح ليهودها أحكام التلمود ، وبذلك خلق هذه الدراسة في الأندلس واتصل بابن « سعيد الفيومي » ، وراسله ليساعده في حل مشكلات فلسفية وكلامية عبرانية ، وأخذ بيد « مناحيم بن سرّوق » وهو أول من دوّن المعجم العبري ، وعُني بنحو العبرانية وصرفها ، و « دوناش بن لبرط» الشاعر العبري الذي جدد الشعر العبري بإدخاله البحور العربية فيه ، و « أبو زكريا يحي بن داوود بن حيّوج » النحوي ، وله مؤلفات في الصرف والنحو و « أبو الوليد مروان ابن جناح » من علماء اليهود المعروفين وغيرهم وصيّر هؤلاء قرطبة مركزاً من مراكز الثقافة اليهودية في المغرب مـــدة قرون عدة ، وينبوعاً غذّى أوربة في القرون الوسطى بالثقافة الإسلامية بوساطة يهود قرطبة والأندلس ، الذين كانوا على اتصال باخوانهم يهود أوربة وبعلماء النصرانية في تلك الديار [١]

وكان من ثمرة هذه الحركة بروز « سليمان بن جبيرول Salomon ibn Gabirol » المعروف أيضاً بـ « أبي أيوب سليمان بن يحي بن جبيرول » ، المتوفى في حدود سنة (٤٥٠) للهجرة ، (١٠٥٨ م) [٢] ، أو في حدود سنة (٤٦٢ هـ) (١٠٧٠ م) ، على رواية أخرى [٣] ، من فلاسفة الأندلس المعروفين الذين اشتهر اسمهم في أوربة خاصةً ، ومن أوائل روّاد الفلسفة في الأندلس وقد عرف بين الأوربيين وفي البيآت الفلسفية الغربية بـ « Avencebrol » و بـ « Avicebron » و بـ « Avicembrón » [٤]

(١) موسى بن ميمون ، لولفنسون (ص ٤) ، ابن ابي اصيبعة (٢/ ٥) ، ابن جلجل (ص ٢٢) ، Isaac Husik PP. 59, o' leary, Arabic Thought, P. 241, Josefe ben Zabara, New york 1932, P. 7,

(٢) O'leary, P, 242.

(٣) Isaac Husik, P. 60

(٤) O' leary. P 242, Isaac Husik, 69, f.

وقد كان شاعراً معروفاً كذلك رنم شعره في معابد اليهود « السيفاريد » « Sepharid » و « الاشقنيز Ashkenazic » ، وعرف بكتابه « ينبوع الحياة » « the Fountain of Life » ، الذي ألفه بالعربية ، وعرف بـ « مقور خايم » « Maqor Chayim » في العبرانية ، وترجم الى اللاتينية بعنوان : « Fons Vitae » ترجم في مدينة « طليطلة Toledo » بأمر من رئيس أساقفة طليطلة « ريموند » في اواسط القرن الثاني عشر. وقام بالترجمة « الدومينانكي جنديسالينوس Dominicus Gundissalinus » بمساعدة طبيب يهودي متنصر اسمه « ابن داوود » « Avendehut » « Avendeath » الذي عرف بعد تنصره باسم « يوحنا الأسباني Johannes Hispanus » « Johannes Hispalensis » (١)

ولعدم استشهاد هذا الفيلسوف بأية آية من التوراة أو بأي قول من التلمود ومن الكتب الدينية اليهودية الأخرى ، ولكون الكتاب فلسفياً ، مكتوباً بالعربية في الأصل ، ظن بعض علماء الغرب أنه من مؤلفات فيلسوف عربي ، ولشهرته عند الدومينيكان وعند الفرنسيسكان ، ولوجود كثير من الآراء الموافقة للآراء النصرانية فيه ، رأى بعض آخر أنه من مؤلفات عالم نصراني ، وظل العلماء في شك من أمره حتى منتصف القرن التاسع عشر ، حيث عثر على ترجمة عبرانية للكتاب ، تبين من مقدمها أن مؤلفه « ابن جبيرول » ، لم يكن نصرانياً ولا مسلماً ، وانما كان يهودياً فيلسوفاً على مذهب الأفلاطونية الحديثة في الفلسفة (٢) ويظهر أنه لم يكن من المعنيين بالبحوث التوراتية والتلمودية ، ولهذا لم يتطرق اليها في هذا الكتاب

(١) O' Leary, P. 242, Isaac Husik, P. 60, Baumer, Avencebrolis Fons Vitae, Munster, 1895.

(٢) موسى بن ميمون (ص ٥٩) ، Isaac Husik. PP. 63.

وقد تبين أن « ابن جبيرول » ، هو من أوائل الفلاسفة الذين أدخلوا الأفلاطونية الحديثة الى الأندلس وأشاعها هناك ، كما أنه ساعد على نشرها في أوربة غير أنه لم يكن من المتعلقين بالافلاطونية الحديثة كل التعلق ، فقد أخذ ببعض الآراء الأرسطوطاليسية كذلك والواقع أن اصحاب المذهب الأفلاطوني الحديث ، وعلى رأسهم مؤسس المذهب « أفلوطين Plotinus » ، كانوا قد أخذوا من فلسفة أرسطوطاليس ، واقتبسوا منها ، للتوفيق بينها وبين مذهبهم الجديد

ولابن جبيرول مؤلف في الأخلاق ألفه باللغة العربية ، ونقله شيخ المترجمين في زمانه « يهوذا بن تبون Judah ibn Tibbon » من العربية الى العبرية وقد عرف ذلك الكتاب بـ « تقويم النفس » « اصلاح النفس » وقد بقي الأصل العربي ، وطبع في سنة « ١٩٠١ م » بأصله العربي مع ترجمته الانكليزية [١] ، كما بقيت الترجمة العبرية ، وطبعت عدة مرات [٢]

وانتشر هذا الكتاب بين اليهود انتشاراً واسعاً ، فتداولته أيديهم بنصه العربي ، وبترجمته العبرية ، على عكس كتابه الفلسفي « ينبوع الحياة » ، مع أنه أهم منه ، وأكثر عمقاً والسبب في ذلك أن « تقويم النفس » ، هو في الأخلاق وفي تهذيب النفس ، وفيه مقتبسات من التوراة ، خلعت عليه طابعاً يهودياً ، كما حوى أمثلة وعظات نقلت من الكتّاب العرب المسلمين الذين لهم أسلوبهم الخاص في المواعظ واصلاح النفس ، وجعلته مستساغاً في أذواق القراء

كما أن له مجموعة في الحكم ، جمعت حكما لحكماء من اليونان والعرب ، طبعت في سنة ١٨٤٤ م بمدينة « هامبرك » [٣]

---

(١) by Stephen S. Wise

(٢) Isaac Husik, P. 71.

(٣) O' leary, P. 243,

ولم يكن « يحيي بن يوسف بن بقودة » من رجال القرن الحادي عشر للميلاد ، ومؤلف كتاب « الهداية الى فرائض القلوب » المؤلف بالعربية ، من المتعمقين في الفلسفة الأفلاطونية الحديثةعلى نمط « ابن جبيرول » ، إنما كان فيلسوفاً أخلاقياً ، وكان « دّيانا » على اليهود أي قاضياً [١] نرى بعض آرائه الفلسفية والحكمية في الكتاب المذكور الذي نقل الى العبرية ، واتخذ من آداب التوراة وحكم القضاة اليهود أمثلة لليهود في الآداب ويظهر عليه تأثره بآراء المتكلمين [٢]

وقد طبع في أوربة كتاب بعنوان « معاني النفس » ، طبعه المستشرقي « كولدتزهير » « Goldziher » ، ونسبه الى « يحيي » ، كما نشرت ترجمته العبرية ، غير أن اتجاه الكتاب وتأثر مؤلفه بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، وعدم اتفاق بعض فصوله مع آراء علماء الكلام ، كل ذلك يشير الى أن الكتاب لمؤلف آخر ، له رأي فلسفي يختلف عن رأى « يحيي » [٣]

وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر قام « ابراهيم بن حيا Abraham bar Hiya » المعروف بالأمير وبـ « Abraham Savasorda » ، أي « ابراهيم صاحب الشرطة » ، بعمل ثقافي مهم ، فنقل العلوم مثل الرياضيات والفلك واصول ضبط التقاويم ، من الشرق الى الغرب ، اذ نقل كتب العلوم العربية الى اللاتينية ، تلبية لرجاء اصدقائه في فرنسة وألمانية ، وألف كتباً في الرياضيات وفي الفلك وفي فروع العلم الأخرى بالعبرية ، استجابة لرغبة أصدقائه اليهود في فرنسة وفي ألمانية ، الذين لم يكن في وسعهم أخذ هذه العلوم من المؤلفات العربية ، فكان من أوائل من قاموا بتأليف كتب العلوم بالعبرية [٤]

(١) Isaac Husik, PP. 80.

(٢) D. Kaufmann, Die Theolegie des Bachja ibn Pakuda, Vol., II, Franfurt, 1910, J. H. Hertz, Bachja, The Jewish Thomas a Kempis, New York, 1898,

(٣) Isaac Husik, PP. 106

(٤) Isaac Husik. 114.

وأما « يوسف بن يعقوب بن صديق » ، دّيان قرطبة أي قاضيها المتوفى سنة « ١١٤٩ م » ، فقد كان من الآخذين بمذهب الافلاطونية الحديثة ، ومن المتأثرين بآراء « إخوان الصفاء » وقد كان عالماً بأحكام التلمود ، وذكر أنه كان شاعراً كذلك وقد مدحه « موسى بن ميمون » وأما كتابه « العالم الأكبر » الذي ألفه بالعربية ، فقد ضاع أصله ، وبقيت ترجمته العبرية التي طبعت فيما بعد [١]

وغرف الشاعر اليهودي الشهير « يهوذا اللاوي Judah Halevi » الطليطلي من معين الفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية الحديثة درس التلمود على « الفاسي » ، وتراسل مع « مكش Migash » خليفة الفاسي، و« باروخ ألباليا Baruh Albalia» الفيلسوف وقد عبر في قصائده التي حازت على شهرة واسعة بين اليهود عن معان دينية ودنيوية عميقة، تدل على حس مرهف ، ونفس جياشة ، سالكا طريق « الغزالي » في تفكيره وفي تصوفه وهذا ما حدا بـ « كوفمن David Kaufmann » على المقارنة بين الغزالي واللاوي ، حتى توصل الى أخذ الثاني من الأول ، وجزم بتأثر اللاوي بآراء الغزالي [٢]

أما « أبو إسحاق ابراهيم بن مئير بن عزرا الطليطلي » ، فقد كان من المتأثرين بآراء الأفلاطونيين المحدثين وبآراء إخوان الصفاء وقد اطلع على الفلسفة العربية بقراءته لكتب الفلسفة ، وكان عالماً بقواعد العبرية وبأحكام التوراة فعدّ من علماء اللغة العبرية وآدابها ، وكتب تفسيراً للتوراة ، وألف في الرياضيات والفلك والتنجيم ، وعرف بتطوافه في الشرق والغرب ، اذ زار مصر وفلسطين وبلاد الشأم والعراق ، وردوس وايطالية وفرنسة وانكلترة ، وأقام في لندن سنة ١١٥٧ م ، وتوفي في روما سنة ١٠٦٧ م [٣]

وقد أفاد أبناء قومه يهود في الغرب ، بتعليمهم العبرية والفلسفة العربية وما تعلمه في

---

(١) موسى بن ميمون (ص ٦٣) ، Isaac Husik, P. 125.

(٢) Isaac Husik, PP. 152.

(٣) Isaac Husik, P. 187.

بلاده الأندلس . ويظهر أنه كان يميل الى التصوف [١]

كذلك كان الشاعر « موسى بن عزرا » المتوفى بعد سنة ١١٣٨ م ، من المتعلقين بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة وكان قد وقف على كتاب « ينبوع الحياة » لابن جبيرول وتأثر به ، ويظهر أثره في النبذ التي اقتبسها من ذلك الكتاب [٢]

وكان « ابراهيم بن داوود » الطليطلي ، من فلاسفة اليهود المتأثرين بفلسفة « أرسطوطاليس » وهو أول فيلسوف يهودي عرف هذه الفلسفة وحاول التوفيق بينها والشريعة الموسوية ويرجع علمه بهذه الفلسفة الى كتب الفارابي وابن سينا ، التي قرأها بالعربية ، لا الى مؤلفات أرسطو الأصلية المدونة باليونانية فلم يكن في مقدوره يومئذ الوقوف على المصادر الفلسفية بلغتها الأصلية وعلى هذا النحو كان علم سائر من اشتغل بالفلسفة ، ومنهم الفيلسوف اليهودي المعروف موسى بن ميمون [٣] وقد أدمج « ابن داوود » في كتابه « الاعتقاد الراقي » آراء أرسطو في أركان الشريعة الموسوية للتوفيق بين أرسطو والدين ، أو بين العقل والنقل [٤]

غير أن « ابن داوود » لم يتمكن من فهم فلسفة أرسطو فهماً واضحاً ، فلم ينجح في التوفيق بين آرائه وآراء الشريعة الموسوية في الخلق وفي العناية الإلهية وفي خلود الروح وفي حرية الإرادة ويكتنف الغموض أبحاثه في هذه الموضوعات [٥]

وبلغت الفلسفة اليهودية في ظل المسلمين ذروتها في فلسفة « موسى بن ميمون » ، المعروف بـ « أبي عمران عبيد الله موسى بن ميمون » في المؤلفات العربية [٥] أحد

(١) Isaac Husik, P. 186.

(٢) Isaac Husik, 197.

(٣) موسى بن ميمون

(٤) المصدر نفسه (ص ٥٩)

(٥) ابن أبي أصيبعة (٢/١١٧)

المعاصرين للفيلسوف ابن رشد ، والمتأثرين به ، والحاملين لفلسفته

وكان موسى بن ميمون من قرطبة ، وكان والده « ميمون » قد درس على « يوسف ابن ميكاش » وعلى « اسحاق الفاسي » ، وتولى القضاء الديني بقرطبة كما درس الفلسفة والعلوم على « يوسف بن صديق » وعلى علماء آخرين [١] ، وقد كان لهذه الدراسة أثر في تكوين ابنه موسى ، الذي تعلم منه ، وسلك طريقه في التتبع والبحث ولما اضطر والده الى ترك قرطبة ، ونزل « المرية » ، كان « ابن رشد » قد حلّ بها أيضاً ، ولعل نزوله بها مكنه من الوقوف على فلسفة هذا الفيلسوف ، ومن الاجتماع بابن أفلح الإشبيلي الطبيب الفيلسوف وفي « المرية » اتصل بأحد تلامذة « أبي بكر بن الصائغ » ، ودرس عليه علم الفلك [٢] ، واتصل بجماعة آخرين ، كما تعلم الطب ومارسه ، ولمع اسمه فيه

وقد كانت غاية « موسى بن ميمون » من فلسفته التوفيق بين العقل والنقل بين الفلسفة والشريعة ، والفلسفةُ المفضلة عنده هي فلسفة أرسطو أما علم الكلام ، فلم يجد له هوى في نفسه ، على عكس فلاسفة اليهود الذين عاشوا في العراق ، وتأثروا بآراء علماء الكلام هناك ، وحاولوا إحلال علم الكلام محل فلسفة اليونان [٣] وسبب ذلك في رأيه أن المعتزلة والأشاعرة ، إنما بنوا آراءهم على مقدمات ومسلمات أخذت من كتب اليونان والسريان النصارى الذين ظنوا أن النصرانية لا تتعارض مع الفلسفة ، فأرادوا الرد عليها ببراهين ومقدمات أخذوها من الفلسفة نفسها ، وألبسوها مسوحاً نصرانية فلما جاء الاسلام ، ونقلت اليهم كتب الفلسفة ، ونقلت اليهم تلك الردود على كتب الفلسفة ، ووجدوا كلام يحيى النحوي وابن عدي ، فعل المسلمون ما فعله النصارى قبلهم ، فظهر المتكلمون ، وظهرت بظهورهم آراء تحاول التوفيق بين آراء الفلاسفة والدين وتطرق

---

(١) موسى بن ميمون (ص ٣)

(٢) دلالة الحائرين لموسى بن ميمون (٢/٢٠) ، موسى بن ميمون (ص ٧) .

(٣) موسى بن ميمون (ص ٦٦) .

« ابن ميمون » الى اختلاف آراء علماء الكلام فيما بينهم ، وبحث في آرائهم ، وأبدى في كتابه « دلالة الحائرين » الأسباب التي حملته على مخالفته لآرائهم ولجوئه الى الفلسفة الخالصة ، وقد قال في جماعته يهود العراق : « إن الذي تجد من الكلام في معاني التوحيد عند بعض علماء الدين من اليهود في العراق ، من الربانيين والقرائين ، إنما هو أمور أخذوها عن المتكلمين المسلمين ... وأما الأندلسيون من أهل ملتنا ، فيستمسكون كلهم بأقاويل الفلاسفة ، ويميلون لآرائهم ، ولا يسلكون مسالك المتكلمين »[١]

وقد نصح « ابن ميمون » « شموئيل بن تبون » ، مترجم كتابه « دلالة الحائرين » من العربية الى العبرية ، بالأيدرس مصنفات أرسطوطاليس إلا اذا كانت من شروح الإسكندر أو ثامسطيوس أو ابن رشد وأما المنطق ، فيجب أن يدرس في كتب الفارابي ، وبخاصة مؤلفه في مبادئ الموجودات ، لأن الفارابي كان حكيماً فيلسوفاً كبيراً ، ومصنفاته صحيحة ترشد الى الحكمة ، وقد فضلها على مصنفات ابن سينا وأما الرازي ، فانه في نظره كان طبيباً ، ليس له علم بالفلسفة والحكمة وقد كان له رأي ووقوف على آراء الغزالي وابن باجه وابن طفيل وثابت بن قرّة والقبيصي وابن أفلح الاشبيلي والرازي والفرغاني وابن سنان البناني الحرّاني والفارابي وابن وحشيّة وغيرهم ، مما يدل على سعة علمه ومداركه بآراء مختلف العلماء والمسلمين وأصحاب المذاهب والنحل في الإسلام [٢]

وقد خرّج « ابن ميمون » نخبة من طلاب العلم ، منهم من اشهر وبرز في الطب ومنهم من برز في الفلسفة والحكمة وكان من أبرزهم وأحبهم الى نفس « ابن ميمون » تلميذه « يوسف بن عقنين » المعروف بـ « يوسف بن يحيي بن اسحاق السبتي المغربي أبي الحجاج »

---

(١) دلالة الحائرين (١/ فصل ٧١) ، موسى بن ميمون (ص ٨٣)

(٢) راجع طبعة « مونك » لكتاب دلالة الحائرين ، المنشورة مع الترجمة الفرنسية ، وكذلك موسى بن ميمون (ص ٦٢ وما بعدها)

في بعض المؤلفات العربية وكان قد هاجر من المغرب ، والتحق بموسى بن ميمون بمصر وقد تعاون معه في إصلاح كتاب الهيأة لابن أفلح ، وكان قد حصل عليه بسبتة ، ودرس عليه الطب ، حتى صار من الأطباء المشهورين ، وتنقل في الشرق حتى بلغ الهند ، وزار العراق ، واتصل بأطبائه وبالمشتغلين بالعلوم فيه ، ووقف على كتاب الهيأة لابن الهيثم ببغداد ، وألف نفسه كتباً بالعربية والعبرية وله مراسلات مع أستاذه « ابن ميمون » فيها أمور مهمة عن فلسفته وأحواله ، وأحوال اليهود والمسلمين في ذلك العهد [1]

وهناك رسائل عديدة فيها أسئلة وردت على « موسى بن ميمون » أجاب عنها ، فيها استفسارات عن فلسفته وآرائه وعن مشكلات عويصة وردود عليها أجاب عن أكثرها بالعربية ، وترجمت الى العبرية ، وقد طبعت ونشرت ترجماتها بالانكليزية وفي الفرنسية والألمانية وفي جملة الرسائل التي وردت عليه ، رسائل من جاليات يهودية كانت في فرنسة [2]

وقد كان لموسى بن ميمون ولد اسمه « ابراهيم » اشتهر أيضاً بين اليهود ، واشتغل بالطب ، فصار طبيباً بارعاً ، وولي رئاسة طائفته وكان عالماً بأحكام الشريعة اليهودية ، ألف كتاباً في الفقه اليهودي بالعربية ، سماه « كفاية العابدين » ، اشتهر بين اليهود ، وعُدَّ مرجعاً يرجع اليه كما ألف في الرد على حسّاد والده والناقين عليه ممن رأوا في مقالاته مخالفة للشريعة الموسوية ، فرد على « دانيال » تلميذ « شموئيل بن علي » ، الرئيس الديني ليهود بغداد ، وألف رسالة سماها « الكفاح في سبيل الله » ، ردّ بها على من نادى باحراق كتاب « دلالة الحائرين » من يهود فرنسة وغيرهم وكان في جملة المعارضين لابن ميمون سليمان بن أدريت ، وقد ألف رسالة في الرد عليه [3] و « يونة بن ابراهيم الجرندي »

(١) ابن القفطي (٢٢٩) ، ابن أبي أصيبعة (٢/٢١٣)

(٢) موسى بن ميمون (ص ٢٤) Steinschneider, Heber. Biblio., Bd., VI, S. 130.

(٣) رحلة بنيامين (ص ٥)

المعروف بالمتقي ، وقد أحرق كتب ابن ميمون [1] وابراهيم بن داوود ، الذي انتقده انتقاداً عنيفاً في كتاب خاص ، وضعه في الرد على ابن ميمون [2] و « ماير » « مئير » أبو العافية » من رؤساء يهود فرنسة [3]

وحجة الفاتين بإحراق « دلالة الحائرين » وبالنهي عن مطالعة مؤلفات « موسى بن ميمون » أن موسى قد رجح الفلسفة على الدين ، وخالف الشريعة ، وانتقد أحكامها ، وذلك بسبب بحثه في أمور دينية عويصة أحجم الأحبار قبله عن البحث فيها ، خوفاً من سواد الناس ومن إثارة الفتنة عليهم ، وهجمه على بعض العادات المخالفة للعقل مثل استعمال التعاويذ ، واقحامه الفاسفة في المدارس اليهودية الدينية لتدريسها مع العلوم الشرعية ، فقرن الغزالي والفارابي وابن رشد وأرسطو وأفلاطون وجالينوس بالأحبار والربانيين علماء التوراة والتلمود والمشنا وهذا مما لايحتمله رجال الدين [4]

وكان في جملة من نقل « دلالة الحائرين » ، يوسف بن كوهن بن علي الإربللي ، نقله بنصه العربي (سنة ٦٧٤ هـ) [5]

لقد أوجدت آراء « ابن ميمون » رد فعل عنيف في البيآت اليهودية في الشرق والغرب ، قسم اليهود الى جماعتين : جماعة مؤيدة للحركة التجددية التي بعثها « موسى » ، وجماعة محافظة شعارها : القديم على قدمه والويل لمن يدعو الى التغيير والتأويل ، لأنه على زعمهم يدعو الى هدم التراث الشرعي ، الذي بفضله وببركته حافظ اليهود على كيانهم بين الأمم الغريبة عنهم على أن هذه الحركة قد أفادت اليهودية كثيراً ، إذ بعثت فيها نهضة فكرية

(١) المصدر نفسه (ص ٥١)

(٢) موسى بن ميمون (٥)

(٣) موسى بن ميمون (٥١)

(٤) موسى بن ميمون ص ١٩ و ١٢٣ وما بعدها)

(٥) الحوادث الجامعة (ص ٢٤٨) ، رحلة بنيامين (ص ١٢٧)

كبيرة ، وأوجدت بينهم ثورة ، دفعتهم الى دراسة الفلسفة والعلوم ، والى نقلها إلى العبرية ، ثمّ الى اللاتينية ، والى تثقيف يهود أوربة الذين كانوا في جهل ، والى بعث الشعور القومي فيهم بما وقفوا عليه عن طريق الترجمة من أفكار وآراء

كان « ابن ميمون » آخر كبار الفلاسفة والعلماء اليهود الذين صنفوا باللغة العربية ، إذ أخذ الجيل الذي تلاه يصنف بالعبرية ولعل للنكساب السياسية التي أصابت العالم العربي وللجمود الذي طرأ على ذهنيته منذ هذا الزمن أثراً في إعراض اليهود عن التأليف بالعربية ، ومهما يكن من أمر ، فقد عكن مَنْ بحثنا عنهم ، وتمكن غيرهم من الضليعين بالعلوم وبالعبرية [من أمثال : « منجم بن الفوّال » ، وهو من أهل « سرقسطة » ومن الأطباء المشتغلين بالفلسفة والمنطق ؛ ومروان بن جناح ، الطبيب ، المنطقي العالم بالعربية والعبرية و « اسحاق بن قسطار » « المتوفى سنة ٤٤٨ هـ » ، الطبيب ، المنطقي الفيلسوف والبارع في العبرانية وفي فقه اليهود ، إذ كان حبراً من أحبارهم ، و « أبي الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي » من « سرقسطة » ، « ومن بيت يهودي معروف قديم [1]] من بعث العبرية ، ومن إحيائها بالتأليف فيها وبالحث على تعلمها وبوضع المصطلحات العلمية والفلسفية بها ، حتى صارت عندهم لغة للتأليف ، وصارت واسطة لنقل تراث اليونان والعرب الى الأوربيين

ظهر في ايطاليا « هلال بن شموئيل » ، « ١٢٢٠ — ١٢٩٥ م » ، من رواد الفلسفة الذين أثنوا على فلسفة ابن ميمون وتأثر بها ، اشتغل في موضوع النفس ، وألف باللاتينية ، ونقل منها وظهر « ليفي بن كرسن » « ١٢٨٨ — ١٣٤٤ م » ، و « هارون بن ايليا » من « نيقوميديا » ، و « حسداي بن ابراهيم كريطاس » (١٣٤ - ١٤١٠ م) في البرتغال ، و « يوسف البو » « ١٣٨٠ — ١٤٤٤ م » ، وأمثالهم ممن ظهروا في أوربة ،

(١) ابن أبي أصيبعة (٢/ ٥٠)

واشتغلوا بالفلسفة ، ولكنهم جميعاً لم يبلغوا شأو « سعيد الفيومي » و « ابن ميمون » وغيرهما ممن ذكرنا وقد أدى خروج العرب من الأندلس الى ابعاد من اشتغل بالفلسفة من اليهود ، عن الفلسفة الاسلامية ، والى تركهم التأليف بالعربية ، وبالاستعاضة عنها باللاتينية والعبرية

وأستحسن أن أشير هنا الى بعض من عاصر « ابن ميمون » ، وكان له أثر في نقل التراث العربي الى العبرية ، ومنها الى اللاتينية ، من أمثال « جوزيف بن مئير زبارة » من أهل « برشلونة » ، وهو طبيب وأديب ، ومن المشتغلين بالفلسفة على المذهب الأرسطوطاليسي المعروف عند العرب ، والشاعر والكاتب اليهودي « يهوذا بن سليمان الحريزي » (١١٧٠ — ١٢٣٠ م) ، أحد البارعين بالعبرية والعربية والمتأثرين بأسلوب « المقامة » العربية ، وصاحب المقامات العبرية المعروفة باسم « مقامات الحريزي » التي ضاهى بها مقامات الحريري ، ومترجم كتاب « دلالة الحائرين » لابن ميمون الى العبرية ولـ « زبارة » كتاب وضع أيضاً على نمط المقامات ، وقد طبع ونشر ، وترجم الى الانكليزية [1]

والحريزي من الرحالين أيضاً ، رحل من بلاده الى مصر وبلاد الشأم والعراق ولرحلته هذه ولرحلات الرحالين الآخرين مثل رحلة « بنيامين بن يونة التطيلي Benjamin of Tudela » شأن في الحصول على صورة للعالم العربي و بعض العالم الغربي في ذلك العهد أما الذين قاموا بالنقل في أيام « ابن ميمون » وبعده من العربية الى العبرية ، أو من العربية الى اللاتينية ، أو من العبرية عن العربية الى اللاتينية ، فهم عديدون يحتاج البحث فيهم الى إفراده بدراسة مستقلة

جواد علي

(١) Joseph ben Meir Zabara, P 9.